

# في أيام غسان مع الأحاليف في الشعر الجاهلي

الدكتور نصرت عبد الرحمن  
الجامعة الأردنية

غسان

ثمة حواران من غسان يردان في الشعر الجاهلي، ويرد أحدهما متصلاً به أميران: النعمان وعمرو. وقمينٌ بدارس ذلك الشعر أن يستجلي أخبار أولئك الأمراء في كتب المؤرخين والأخباريين، حتى يلتئم جناحا الأدب والتاريخ، فيرفد الأدب التاريخ، ويُعطي التاريخ للأدب إطاراً زمانياً محدداً، على الرغم من تفلت الأدب من التحديد الزمني.

والحوارث من غسان عند اليعقوبي ستة: الحارث بن مالك، والحارث الأعرج، والحارث الأصغر، والحارث بن جبلة، والحارث بن أبي شمر بن الأيهم<sup>(١)</sup>؛ وهم خمسة عند أبي الفداء<sup>(٢)</sup> والأصبهاني<sup>(٣)</sup>: الحارث بن ثعلبة، والحارث بن جبلة، والحارث بن الأيهم، والحارث بن حُجر، والحارث بن جبلة بن الحارث. وهم أربعة عند ابن

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي (دار العراق، بيروت، ١٩٥٥)، ١: ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر (دار المعرفة، بيروت)، ١: ٧٢ - ٧٣.

(٣) الأصبهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (دار مكتبة الحياة، بيروت، ٢)، ص ٩٨ -

الأنباري<sup>(١)</sup> وابن الكلبي<sup>(٢)</sup>: الحارث الجفني، والحارث الأعرج، والحارث الأكبر، والحارث الأصغر عند المفضل؛ والحارث بن ثعلبة، والحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة، والحارث بن جبلة بن المنذر، والحارث بن أبي شمر عند ابن الكلبي. وهم ثلاثة عند ابن حبيب<sup>(٣)</sup> والمسعودي<sup>(٤)</sup> وابن خلدون<sup>(٥)</sup> وابن سعيد<sup>(٦)</sup> والجاحظ<sup>(٧)</sup>: الحارث بن ثعلبة، والحارث بن جبلة، والحارث الأعرج عند ابن حبيب وابن خلدون، والحارث بن عمرو، والحارث بن ثعلبة، والحارث بن أبي شمر عند المسعودي، والحارث بن ثعلبة، والحارث بن جبلة، والحارث بن الأيهم عند ابن سعيد، والحارث الأكبر والأوسط والأصغر عند الجاحظ.

وقد درس تولدكه «معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمرء الغساسنة، ونقدها وغربلها وقارن الحاصل بما وجدته في الموارد البيزنطية»<sup>(٨)</sup>، فجعل الحوارث ثلاثة: الحارث بن جبلة الذي شغل وظيفة العامل الأكبر من سنة ٥٢٩م، وتوفي سنة ٥٦٩م، والحارث

- 
- (١) ابن الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد، ديوان المفضليات (تحقيق كارلوس لايل، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠)، ص ٧٧٤.
- (٢) ابن الكلبي، هشام ابن محمد بن السائب، جمهرة النسب (تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق؟) ٢: ٣٦٤-٣٦٧.
- (٣) ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية، المحجّر (تحقيق إيلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢)، ص ٣٧٢.
- (٤) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨)، ص ٢: ١٠٧.
- (٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١)، ٢: ٥٨٣.
- (٦) ابن سعيد، علي بن موسى، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب (تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢)، ١: ٢٠٠-٢٠٨.
- (٧) الجاحظ، عمرو بن بحر، البرصان والعرجان والعميان والحولان (تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٢)، ص ١١٠-١١١.
- (٨) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (دار العلم للملايين بيروت، ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٧٦)، ٣: ٤٤٤.

الأصغر بن الحارث الأكبر، والحارث الأعرج بن الحارث الأصغر، وكانا - عند نولدكه - بين سنتي ٥٨٣ م و ٦١٤ م<sup>(١)</sup>. وقد اقتفى أثر نولدكه جلّ المؤرخين من العرب الذين أرخوا لغسان، ومنهم جواد علي.

وقد اقتدر نولدكه على أن يجلو الغموض الذي غلّف حياة الحارث بن أبي شَمِير، فهو الحارث بن جَبَلَة «أول أمراء بني جفنة وأعظمهم شأنًا»<sup>(٢)</sup>، وهو الذي «احتلّ في مخيلة العرب مركزاً سامياً، ودعوه أيضاً الحارث بن أبي شَمِير مما يدلّ على أن أباه كان يكتنى بأبي شَمِير»<sup>(٣)</sup>، وهو الذي «حارب المنذر أمير الحيرة، وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة ٥٢٨ م»<sup>(٤)</sup>، وذكره بروكوبيوس Procopius في تاريخه فقال: «إن الامبراطور يوستينيان رَقَى الحارث بن جَبَلَة إلى رتبة ملك، وَبَسَطَ سُلْطَتَهُ فوق قبائل عربية، وأن غرضه كان أن يُقيم خصماً قوياً في وجه المنذر، ملك عرب الفرس»<sup>(٥)</sup>. وهو صاحب يوم حليلة الذي قُتل فيه المنذر بن ماء السماء، وكان في شهر حزيران سنة ٥٥٤ م<sup>(٦)</sup>.

(١) نولدكه، نيودور، أمراء غسان (ترجمة بندلي خوري وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣)، ص ٥٧.

(٢) نفسه، ص ٩.

(٣) نفسه، ص ٢٢.

(٤) نفسه، ص ١٠.

(٥) أمراء غسان ص ١١.

(٦) انظر: أمراء غسان، ص ١٩ - ٢٠. وانظر في الحارث بن جبلة:

Hart, Cl., Histoire des Arabes, (2Tomes, Paris, Libraire Paul Geuthner, 1912) Tome 1, PP. 60-62.

O'Leary, Arabia Before Mohammad, (London, Kegan Paul, 1927) PP. 164-165

Hitti, Philip, History of Syria (London, Macmillan & Co LTD, 1953) PP.402 404.

وقد جعل هوار الحارث بن أبي شَمِير سابقاً الحارث بن جَبَلَة، ولم يتحدث أوليري وفيليب حتي عن الحارث الأعرج والحارث بن أبي شَمِير.

فولده قد جلا أمر الحارث بن أبي شمر، ولكنه لم يجُل أمر الحارث الأعرج، أو أن جلاءه له لا يوافق الشعر الجاهلي. لقد جعله ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر<sup>(١)</sup>، ورجح أن يكون توليه الامارة بين سنتي ٥٨٣ م و ٦١٤ م<sup>(٢)</sup>.

وأول ما يشعب على تولده من الشعر الجاهلي قول عبيد بن الأبرص الأسدي<sup>(٣)</sup>

نَحْنُ قَدْنا من أهاضيب الملا الـ خَيْلٌ في الأُرسانِ أمثالِ السَّعالي<sup>(٤)</sup>  
 شَرِّبا يَغشَيْنَ من مَجْهُولَةٍ الـ أَرْضِ وَعَثًا من سُهولِ وجِبَالِ<sup>(٥)</sup>  
 فانتَجَعنا الحارثَ الأعرجَ في جَحْفَلٍ كالليلِ خَطَّارِ العوالي<sup>(٦)</sup>

فاذا كان عبيد بن الأبرص قد قتله المنذر بن ماء السماء في قصة مشهورة، واذا كان المنذر بن ماء السماء معاصراً للحارث بن شمر، بل هو قتل الحارث في يوم حليلة في حزيران لسنة ٥٥٤ م، فهذا يعني أن عبيدا قُتل قبل سنة ٥٥٤ م وهي السنة التي قُتل فيها المنذر، وهذا يعني أيضاً أن عبيداً عاصر الحارث بن أبي شمر والمنذر بن ماء السماء.

\*\*\*

- 
- (١) أمراء غسان، ص ٢٤.  
 (٢) نفسه، ص ٥٧.  
 (٣) ديوان عبيد بن الأبرص (تحقيق حسين نصار، البائي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧)، ص ١١٦.  
 (٤) الملا: الصحراء. والسَّعالي: جمع السَّعلاة، وهي أنثى الغول.  
 (٥) الشَّرِّب: جمع الشَّرِّب، وهو الضامر اليابس. وَيَغشَيْنَ: يَدْخُلْنَ. وَالْوَعَث: الأرض التي تَغيبُ فيها القوائمُ فيعسرُ السيرُ عليها.  
 (٦) الجَحْفَل: الجيش العظيم. والخَطَّار: الطويل الذي يَضْرِبُ لظوله. والعوالي: جمع العالية، وهي أعلى الرمح.

ولكن عبيداً في الأبيات يتحدث عن انتجاع الحارث الأعرج . فأني يستقيم أن يتأخر  
الحارث الأعرج الى ما بعد سنة ٥٨٣ م؟

يظهر أن الحارث الأعرج هو الحارث بن أبي شَمِر وهو الحارث بن جَبَلَة ، فالأسماء  
الثلاثة لمُسَمَّى واحد . وقد قال بهذا الرأي ابن عبد ربه<sup>(٢)</sup> وابن الأثير<sup>(٣)</sup> من القدماء ، ونبه  
عاقل<sup>(٣)</sup> من المحدثين .

وثاني ما يَشْعَب على نولدكه من الشعر الجاهلي شعرٌ لحاتم الطائي ذكر فيه صراحة  
اسم الحارث بن عمرو ، فقال<sup>(٤)</sup> :

أبْلِغِ الحارثَ بنَ عَمْرٍو بأبي حافِظُ الوُدِّ مُرْصِدٌ لِلسَّوابِ  
وذكر اسم أمه ، وذكر أن حارثين نُمِيَاه ، فقال<sup>(٥)</sup> :

نَمَتْهُ أُمَامَةٌ والحارثانِ نِ حَتَّى تَمَهَّلَ سَبْقاً جديداً  
وليس في قائمة نولدكه هذا الأمير .

ولا بد من التماس العذر لنولدكه ، فهذا اسم لا يَرِد في أية قائمة من قوائم أمراء غسان  
التي صنعها المؤرخون ، إلا في قائمة ( هوار ) Huart إذا جاز أن أسميها قائمة - حيث  
جعل أبا شَمِر الحارث بن عمرو أول أمراء غسان في الشام ، وأنه عاش زمن الامبراطور  
البيزنطي أناستازيوس ( ٤٩١ - ٥١٨ م )<sup>(٦)</sup> . ومُحال أن يكون حاتم أدرك ذلك الزمن .

- 
- (١) ابن عبد ربه ، أحمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ( المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٣٥ ) ، ٢ : ٥٤ .
  - (٢) ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ( الطباعة المنيرية ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ ) ، ١ : ٥٤٧ .
  - (٣) نبيه عاقل ، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، ( دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٥ ) ، ص ١٥٩ .
  - (٤) ديوان شعر حاتم الطائي ( تحقيق عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ؟ ) ، ص ١٩٤ .
  - (٥) نفسه ، ص ٢٠٧ .

(٦) Histoire Des Arabes, Tome, 1p.60

## (٢) الأحالف

الأحلاف في العصر الجاهلي كُثُر، وقد أحاط ببعضها أصحاب المُعْجَمات  
ومنهم ابن منظور: فقد أورد الأحلاف في قريش: عبد الدار وُجْمَح وسَهْم ومَخْرُوم  
وعَدِيّ بن كعب. وأورد الأحلاف في شعر زهير بن أبي سلمى، ومنها قوله<sup>(١)</sup>:

تداركُنا الأحلافُ قد نُلُّ عَرشُها وذبيانَ قد زلَّتْ بأقدامِها النَّعْلُ  
وقوله<sup>(٢)</sup>:

ألا أبلغ الأحلافَ عني رسالةً وذبيانَ هل أقسمتُمُ كلَّ مَقَسَمِ<sup>(٣)</sup>

وقال: «ويقال ابني أسدٍ وطبيءُ الحليفان، ويقال أيضا لفزارة ولأسد حليفان؛ لأن حُرَاعة  
لما أُجِلتْ بني أسدٍ عن الحَرَمِ، خرجتْ فحالفَتْ طَيْبًا، ثم حالفتْ بني فزارة»<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو عبيدة في خبر يوم النَّسار: «تحالفتْ أسدٍ وطبيءٌ وغَطَفان، ولحقتْ بهم  
ضَبَّةٌ وعديّ، فغزوا بني عامر، فقتلوهم قتلاً شديداً»<sup>(٥)</sup>.

ومن خبر يوم النَّسار أيضا ما ذكره الشَّمشاطي، قال: «وهو يوم لبني أسدٍ وغَطَفان  
وطبيء، وهم الأحالف، على بني عامر... وكان سبب يوم النَّسار أن بني تميم كانوا  
يأكلون عُمومتهم بني ضَبَّة وبني عبد مناة، فأصابوا رَهْطًا من بني تميم، فَطَلَبْتَهُمْ تَمِيمٌ،  
فلحقت الرِّبابُ ببني أسدٍ ابن حُرَيْمَةَ، وهم يومئذ حلفاء لبني بَغِيض بن غَطَفان،

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (دار الكتب المصرية، القاهرة،  
١٩٤٤)، ص ١٠٩.

(٢) نفسه، ص ١٨ (والبيت من المعلقة).

(٣) هكذا وردت رواية البيت في اللسان.

(٤) لسان العرب (دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٦)، مادة حلف.

(٥) العقد الفريد، ٣: ٣٧٥.

وحلفائهم أيضا بنو وطىء . ورئيس ذبيان حصن بن حذيفة بن بدر، ورئيس بني أسد عوف بن عبد الله بن عامر بن جديمة بن نصر بن قعين، ويقال خالد بن نضلة الأسدي، ورئيس الرباب يوم النصار الأسود بن المنذر أخو النعمان . وحدث قيس بن غالب أن رئيس الرباب وجماعة الأحاليف يوم النصار حصن بن حذيفة، وأنشد في تصدق ذلك قول زهير (١) .

وَمِنْ مِثْلِ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلُهُ      لَانْكَارِ ضَمِيمٍ أَوْ لِأَمْرِ يُحَاوِلُهُ  
إِذَا حَلَّ أَحْيَاءُ الْأَحَالِيفِ حَوْلَهُ      بَدَى لَجَبٍ هَدَّاهُ وَصَوَاهِلُهُ (٢)

\*\*\*

فالأحاليف الذين أعنيهم في هذا البحث هم: أسد وذبيان وطيء وضميمة، وهي تسمية ليست طارئة، أو تسمية أملت لها لوازم البحث، وإنما هي تسمية لزمّت تلك القبائل حتى بدت كالعلم عليها .

وديوار الأربع قبائل متداخلة، فهي تشكّل ما يمكن أن تكون وحدة جغرافية، فهي تمتدّ من شرق جبلي أجأ وسلّى (شمر اليوم) حتى شرق المدينة، فكأنها درع يقي شمال الجزيرة العربية .

لم تكن ديار غسان - على الرغم من الغموض الذي يحيط بامتدادها - مُصَاقِبَةً لِدِيَارِ الْأَحَالِيفِ، فبينهما سِرٌّ تَسَعُ لِيَالٌ لِلْعَاجِلِ الْمُتَنَابِ، كَمَا يَقُولُ حَاتِمُ الطَّائِي (٣) .

ولكن بعد الشُّقَّة لم يصرف غسان عن التطلُّع إلى نجد، والابتعاد بالقبائل النجدية كطيء وأسد وذبيان وتميم وضميمة، وبلغ مُغَارَهَا كِنَانَةَ، «فَقَلَّمَا وَقَفْتَ غَسَانَ لِلرُّشْدِ» (٤) كما يقول عبيد بن الأبرص .

(١) انظر الديوان، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار (تحقيق السيد محمد يوسف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧)، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٣) انظر الديوان (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٩٤ .

(٤) انظر الديوان، ص ٦٠ .

أما أن بعد الشُّقَّة لم يصرف غسان عن التطلُّع إلى نجد، فلأن القبائل اللواتي كن يحجزن بين غسان والأحالييف كن خاضعات لنفوذ الروم البيزنطيين، كغسان نفسها، وهن حليفات لغسان، وقد ناصرنها، واشتركن معها في الغارة. ولا نكاد نستثني منهنَّ غير عُذْرَةَ - وبني حُنَّ منها خاصة - الذين غزاهم النعمان بن الحارث الأصغر في وادي القُرى، فهزموه، كما يتبدَّى من شعر النابغة الذبياني<sup>(١)</sup>. وأما كَلْبٌ وقُضاعةٌ وبِلِيٌّ وسَلِيحٌ فكُنَّ يشتركن مع غسان في الغارة.

وقد تنبَّه الشاعر الجاهلي إلى المؤازرة التي تلقاها غسان، حتى إن الأحنس بن شهاب التغلبي قد جعل عزَّ غسان في سواها، فقال<sup>(٢)</sup>:

وَعَسَانُ حَيٌّ عِزُّهُمْ فِي سِوَاهُمْ يُقَاتِلُ عَنْهُمْ مِقْتَبٌ وَكَسَائِبُ<sup>(٣)</sup>

ويرد ذكر ما في جيش غسان من (أشائب) في شعر النابغة الذبياني<sup>(٤)</sup>، وقد حمَّل حسان بن ثابت مسؤولية هزيمة الحارث الأصغر أو الجفني أو مقتله عدم وجود أصحاب للحارث من جذم غسان<sup>(٥)</sup>.

ويمكننا أيضا أن نتبين ذلك الاشتراك من أبيات للنابغة الذبياني، صوِّر فيها غارة لعمرو ابن الحارث الأصغر على فزارة - وهي من ذبيان - فساق عمرو الرُقيدات وهم «بطن من كَلْبٍ»<sup>(٦)</sup> من جُوشٍ ومن عِظَمٍ، وأدخل في حملته سُلَافًا وأنفَارًا من رهط رِيعِيٍّ وَحَجَّارِ القُضَاعِيَّيْنِ<sup>(٧)</sup>.

★ ★ ★

- (١) انظر الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٩٨.
- (٢) من قصيدته المشهورة التي مطلعها:  
لَابِنَةُ جِطَّانَ بْنِ عَوْفٍ مَنَازِلُ كَمَا رَقَّتْ العُنُونُ فِي الرُّوقِ كَاتِبُ  
انظر المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٢٠٥.
- (٣) المِقْتَبُ: الجماعة من الخيل.
- (٤) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٤٢.
- (٥) ديوان حسان بن ثابت (تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤)، ١: ٢٠٤.
- (٦) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية، القاهرة، ١٩٥٩)، مادة ربيعة.
- (٧) انظر ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٧٧.

ولا بد لي من الإشارة إلى أن جل الشعر الذي تحدث عن أيام غسان مع الأحاليف جاء من شعراء تلك القبائل، وليس من شعراء غسان، فالشعر الذي وصل إلينا من غسان منزور<sup>(١)</sup>.

(٣)

### بين غسان وأسد أ. في عهد الحارث الأعرج

يتحدث عبيد بن الأبرص وعمرو بن شأس من شعراء أسد عن أيام قبيلتهما مع غسان، في عهد الحارث الأعرج.

أما أن هذا الصراع حدث في عهد الحارث الأعرج، فلأن عبيداً قد ذكره صراحة «فانتجعنا الحارث الأعرج»<sup>(٢)</sup>، فلا مجال بعد لتخمين أو ظن.

ويصور الشاعران - عبيد وعمرو - انتصار بني أسد على غسان يومي المُرار والقُرَات (بالقاف وليس بالفاء كما ورد عند ابن حبيب<sup>(٣)</sup>، والأصبهاني<sup>(٤)</sup>): حيث خرجت أسد في جَحْفَل جَرَّار «حَطَّار العوالي»<sup>(٥)</sup> «قَسَطْلُهُ ذَائِلُ»<sup>(٦)</sup> كما قال عبيد، أو في جَحْفَل كالليل البهيم، كثير العدد وافره، والخيل الجرد تعدو في أعتتها كأنها القطا الواردات، وهي تلوك اللُجْم، وتباري الركب في عناد.  
قال (٧):

(١) من شعر غسان المنزور شعر الشيعم بن الحارث الغساني. انظر القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم، ذيل الامالي والنوادر (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣هـ)، ص ١٧٩.

(٢) الديوان، ص ١١٦.

(٣) المحبر، ص ٢٤٧. وعليه اعتمد جواد علي. انظر المفصل في تاريخ العرب، ٣: ٤٣٥.

(٤) الأغاني، ١١: ١٨٩.

(٥) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١١٧.

(٦) نفسه، ص ٩٩. والقَسَطَل: العُبار في المعركة. والذَائِل: الطويل الذيل لا ينقطع. يريد أن العبار منتشر فوق الجيش وخلفه.

(٧) نفسه ص ٥٩.

بَجَحْفَلٍ كَبِيمِ اللَّيْلِ مُتَّجِعٍ      أَرْضَ الْعَدُوِّ لُهَامٍ وَافِرِ الْعَدَدِ (١)  
 الْقَائِدِ الْخَيْلِ تَرْدِي فِي أَعْنَتِهَا      وَرَدَ الْقَطَا هَجَرَتْ ظِلْمًا إِلَى التَّمَدِ (٢)  
 مِنْ كُلِّ عَجَلِزَةٍ بَادٍ تَوَاجِدُهَا      عَلَى اللَّجَامِ ثُبَارِي الرَّكْبِ فِي عَنَدِ (٣)  
 وَكُلُّ أَجْرَدٍ قَدْ مَالَتْ زِحَالَتُهُ      نَهْدِ الْمَرَائِكِلِ فَعَمٍ نَاتِيءِ الْكَتَدِ (٤)

وهو جَحْفَلٌ يَضُمُّ فِتْيَانًا تَحْتَرُّ سِيوفُهُمُ الْأَعْنَاقَ ، وَفِيهِمْ كَلٌّ فَتَى كَرِيمٍ جَوَادٍ ، غَيْرِ قَعِيدٍ زَادٍ ، وَلَا أَوْجَلٍ ضَعِيفٍ ، وَلَا أَشَلٍّ يَبِيسُ الْأَنَامِلِ .

قال عمر بن شأس: (٥)

بَأَيْدِيهِمْ هِنْدِيَّةٌ تَخْتَلِي الطَّلَى      كَمَا فَضُّ جَانِي حَنْظَلٍ نَضَرَ حَنْظَلِ (٦)  
 بِكُلِّ فَتَى يَعْصَى بِكُلِّ مُهَنْدٍ      نَدٍ غَيْرِ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ عَجَلِ (٧)  
 كَعَجَلِ الْهَجَانِ الْأُدْمِ لَيْسَ بَرُمُحٍ      وَلَا شَنِجٍ كَرَّ الْأَنَامِلِ زُمَّلِ (٨)

وقد قُتِلَ يَوْمَ الْقُرَاتِ (عَدِيٍّ) دُونَ مَشَقَّةٍ أَوْ عَنَاءٍ ، وَقُتِلَ (قُرْصٌ) يَوْمَ الْمُرَارِ حِينَ حَصَرْتَهُ الْخَيْلُ مِنْ يَمِينٍ وَيَسَارٍ .

قال عمرة بن شأس: (٩)

وَنَحْنُ قَتَلْنَا بِالْقُرَاتِ وَجَزَعِهِ      عَدِيًّا وَلَمْ يُكْسِرْ بِهِ عُوْدُ حَرَمَلِ (١٠)

وقال عُبَيْدَةُ (أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ) (١١):

- (١) اللُّهَامُ: الْعَظِيمُ كَمَا هُوَ يَلْتَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ .
- (٢) تَرْدِي: تَرْجُمُ الْأَرْضَ بِحَوَافِرِهَا فِي غَدْوِهَا . وَهَجَرَتْ: طَارَتْ فِي الْهَاجِرَةِ إِذْ يَشْتَدُّ الْحَرُّ . وَالتَّمَدُ: الْمَاءُ الْقَلِيلُ .
- (٣) الْعَجَلِزَةُ (بِكسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِهَا): الْفَرَسُ الشَّدِيدَةُ . وَالتَّوَاجِدُ: أَقْصَى الْأَضْرَاسِ . وَالتَّمَدُ: الْمُعَانَدَةُ .
- (٤) الرَّحَالَةُ: السَّرَجُ . وَالتَّمَهُدُ: الْعَالِي الْمَرْتَفِعُ . وَالمَرَائِكِلُ: مَعَ المَرَائِكِلِ ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ مِنَ الْحِصَانِ حَيْثُ يَهْمَزُهُ الرَّابِعُ . وَنَهْدُ الْمَرَائِكِلِ: كِنَايَةٌ عَنِ عُلُوِّ الْجَوَادِ وَإِشْرَافِهِ . وَالفَعْمُ: الْمَمْتَلِيُّ ، وَقَدْ خَصَّ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ الفَعْمَ بِامْتِلَاءِ الذَّرَاعِينَ (الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ ، الْبَابِيُّ الْحَلَبِيُّ ، الْقَاهِرَةُ ، ١٩٥٢ - مَادَّةُ فَعَمٍ) . وَالكَتَدُ: مَوْضِعُ اجْتِمَاعِ الْكَتَنَفِينَ .
- (٥) شَعْرُ عَمْرُو بْنِ شَاسِ الْأَسَدِيِّ (صَنَعَهُ يَحْيَى الْجَبُورِيُّ ، مَطْبَعَةُ الْآدَابِ النَّجْفِ ، ١٩٧٦) ، ص ٥٨ .
- (٦) تَخْتَلِي: تَقَطِّعُ . وَالتَّلَى: جَمْعُ طَلْيَةٍ (بِضْمِ الطَّاءِ) أَوْ طَلَاةٍ وَهِيَ الْعِنَقُ .
- (٧) نَدٍ: كَثِيرُ الْعَطَاءِ . وَالعَجَلُ: الْعَظِيمُ البَطْنُ .
- (٨) الرُّمُحُ: الْفَقِيرُ الْمُحْتَاجُ . وَالرُّمْلُ: الضَّعِيفُ الْجَبَانُ .
- (٩) الْجَزْعُ فِي الْوَادِي: مَنْعُطُهُ أَوْ مَنْعِنَاهُ . وَمِنْ الْأَرْضِ الْمُشْرِفِ مِنْهَا إِلَى جَنْبِهِ طَمَأْنِينَةٌ . وَالحَرَمَلُ: نَبْتُ سَهْلِ الْكُسْرِ لَهُ حَبٌّ أَسْوَدٌ كَالْحَرْدُلِ .
- (١٠) مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ، مَادَّةُ قُرَاتٍ .

وقد جعل ياقوت عُبَيْدَةَ أَحَدَ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ . وَقَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَكْرِ ، وَلَا عِلَاقَةَ لَهَا بِالْقُرَاتِ .

أَلَيْسَ فَوَارِسَ يَوْمِ الْقُرَاتِ وَالْخَيْلِ بِالْقَوْمِ السَّعَالِي  
وقال عبيد بن الأبرص (١):

ثم غادرنا عدياً بالقنا الذبلِ السمرِ صريعاً في النجالِ (٢)  
ثم عُجْناهُنَّ نُحوصاً كَالْقَطَا القاربِ الماءِ من أينِ الكلالِ (٣)  
نَحَوَ قُرْصِ يَوْمِ جالتِ حَوْلَهُ الخيلِ قُبَاً عن يَمِينِ وشِمَالِ (٤)  
وقال عبيد أيضاً وقد عدّد مآثر أسد: (٥)

وَنَحْنُ قَتَلْنَا مَرَّةً الْخَيْرِ مِنْكُمْ وَقُرْصاً قَتَلْنَا كَانَ مِنْ أَوْلِكَا  
وقال بعد حديثه عن خيل الغارة (٦):

حتى تعاطينَ غساناً فحزبُهُم يَوْمَ المُرارِ ولم يُلَووا على أَحَدِ (٧)  
لما رأوكَ وبلج البيضِ بينهم وكلّ مطرِدِ الأنبوبِ كالمسدِّ (٨)  
غوثُ بنو أسدِ غسانَ أمرَهُم وَقَلَمَا وَقَفَتْ غسانُ للرشدِ

وليس في ديوان عبيد ما يكشف حقيقة ضمير المخاطب في (رأوك)، فالقصيدة في  
المدح، والممدوح غير متبين.

فمن هو؟

لا يظهر من شعر عبيد بن الأبرص وعمرو بن شأس قائد أسد في ذينك اليومين،  
فشعرهما تبرز فيه الروح الجماعية للقبيلة، ويغيب فيها الفرد في غمرة الجماعة، وهذه  
مزنة تُحفظ لشعراء أسد.

- 
- (١) الديوان، ص ١١٧.
  - (٢) القنا الذبل: أنابيب الرماح الدقاق. والعرب تسمي الشيء في بعض الأحيان باسم جزئه. فالقناة أنبوب الرمح، وهي الرمح كله.
  - (٣) النحوص: الغائرات العيون. والأين والكلال: التعب.
  - (٤) الخيل القبا: الضواير.
  - (٥) الديوان، ص ٩٤.
  - (٦) نفسه، ص ٦٠.
  - (٧) لم يلوا على أحد: لم يعوجوا على أحد استعانة به.
  - (٨) مطرد الأنبوب: طويل القناة طويلاً مُمتدلاً مُقوماً.

ولذا أجدني محتاجاً إلى تلمس اسم ذلك القائد في غير شعرهما. فقد ذكر ابن حبيب<sup>(١)</sup>، والأصبهاني<sup>(٢)</sup>، وياقوت<sup>(٣)</sup>، ان قائد أسد يوم القرات هو ربيعة بن حذار الأسدي. وقد سلك ابن حبيب ربيعة في سبط القادة الجرارين، وهم الذين قادوا ألف رجل<sup>(٤)</sup>.

ويخيل إلي أن ربيعة نال هذه الصفة بهذا الجحفل الذي قاده لقتال غسان، فقد رأينا أن شاعري أسد قد صوراه جيشاً لهاماً وافر العدد.

وإذا صحَّ هذا، يكون ربيعة قد قاد أسداً عند الخلاص من حُجر بن الحارث بن عمرو المقصور بن حُجر آكل المُرار الكندي، أبي امرئ القيس، الذي مُلك على أسد في تاريخ معلوم، وفي قتال غسان في القرات والمُرار.

ويُلفتُ في وصف عمرو بن شأس ليوم القرات أنه جعل غسان غازيةً، وجعل أسداً مدافعة أهل منزل، حيث قال<sup>(٥)</sup>:

فلم أَر حَيًّا مِثْلَهُمْ حِينَ أَقْبَلُوا      وَلَمْ أَر حَيًّا مِثْلَنَا أَهْلَ مَنْزِلٍ  
فهل القرات في ديار أسد؟

وأما عبيد فقد جعل أسداً غازيةً، وجعل غسان مُدافعة: فقد جاء في شعره «نحن قُذْنَا من أهاضيب المَلا»<sup>(٦)</sup> و «انتَجَعْنَا الحارث الأعرج»<sup>(٧)</sup>، «ثم غادرنا عدياً بالقنا»<sup>(٨)</sup> فهل القرات خارج ديار أسد؟

فالقرات من ديار أسد عند عمرو بن شأس، وخارجها عند عبيد بن الأبرص. أهذا تناقض، والمتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كما يقول المناطقة؟

(١) المنحبر، ص ٢٤٧.

(٢) الاغانى، ١١: ١٨٩.

(٣) معجم البلدان، مادة قرات.

(٤) المنحبر، ص ٢٤٦.

(٥) شعره، ص ٥٧.

(٦) الديوان، ص ١١٦.

(٧) نفسه، ص ١١٧.

(٨) نفسه، ص ١١٧.

يحتاج تحديد المكان إلى من هو أقدر مني على تحديد الأماكن الخافية في شمال الجزيرة. فإذا جاز لي أن أرجح أقول: القُرات خارج ديار أسد، استثناساً بتحديد ياقوت، في أن القُرات وادي بين تهامة والشام»<sup>(١)</sup>، وديار أسد لم تبلغ تهامة، إذا اعتمدت على تحديد (ليال) لتلك الديار.

قال ليال: «وكانت حدود أرض أسد تمتد جنوبي ثيماء المشهورة، وشرقي طريق التجارة العظيم الممتد من الشمال إلى الجنوب، وهو الآن طريق الحج من معان إلى المدينة، وغربي وجنوبي الحد الغربي من أجأ وسلمي جبل طيء. وكانت أسد أقصى قبائل مَعَدَّ شمالاً، على الطريق من الجنوب إلى فلسطين وسورية، وراءها قبائل عُذرة، وجُذام، وبلبي اليمنية، على الطريق التجاري، وإلى شرقها وشمالها الشرقي قبيلة كَلْب، اليمنية الأصل أيضاً، في المنخفضات المسماة الآن بوادي السرحان والجوف، يفصلها عن أسد شريط واسع من السلاسل الرملية - التُفود الآن»<sup>(٢)</sup>.

ولا بد لي من أن أستذكر أن يُؤمى القُرات ومُرار حدثاً في عهد عبيد بن الأبرص، فهو شهد أو شاهد اليومين، وأما عمرو بن شأس فلم يعاصرهما. فعبيد رأى وعمرو سمع، وليس راءٍ كَمَنْ سمع كما يقال.

عبيد شاعر قديم عايش عهد الحارث بن أبي شمر الأعرج، وقتلُه السندر بن ماء السماء اللَّحْمِي، الذي قُتل، قتله الحارث زهاء سنة ٥٥٤م، فعبيد بذلك قتل قبل تلك السنة.

وعمر بن شأس شاعر مخضرم، شهد القادسية (١٥٠ / ٦٣٧م)، وقال فيها شعراً<sup>(٣)</sup>. فلو كان أدرك عهد الحارث الأعرج لغدا إبان القادسية شيخاً كبيراً يذلف في التسعين. وما في التسعين مُنة على جهاد، أو اصطبار عليه<sup>(٤)</sup>.

(١) معجم البلدان، مادة قرات.

(٢) ترجم حسين نصار مقدمة ليال في تحقيقه للديوان. انظر ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١٣ - ١٤ (المقدمة).

(٣) انظر شعره، ص ٨٦ - ٨٧.

(٤) انظر مقدمة يحيى الجبوري لشعر عمرو بن شأس، ص ١٧ - ١٨.

## القرات والمُرار في شعر النابغة الذبياني

قال الطُّوسِيّ: «حين قَتَلْتُ بنو عَبَس نُضَلَّةَ الأَسَدِيّ، وقتلت بنو أسد منهم رجلين، فأراد عُيَيْنَةَ (١) عَوْنُ بني عبس، أن يُخرج بني أسد من حلف بني ذبيان» (٢)، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها (٣):

عَشِيْتُ منازلًا بِعُرَيْتَاتٍ فَأَعْلَى الْجَزَعِ لِلْحَيِّ الْمُبِينِ (٤)  
وذكر أسداً فقال:

إذا حاولت في أسدٍ فُجُورا  
شَهِدْتُ لَهُم مَواطِنَ صادقاتٍ  
وَهُم ساروا لِحُجْرٍ في حَميسٍ  
وَهُم زَحَفُوا لِفِسانٍ بِزَحْفِ  
بِكلِّ مُجَرَّبٍ كَاللَيْثِ يَسْمُو  
وَضُمُرٍ كَالْقِداحِ مُسَوِّماتٍ  
فإني لستُ مِنْكَ ولستُ مِنِّي  
أُتَيْتُهُمُ بوَدِّ الصِّدْرِ مِنِّي  
وكانوا يومَ ذلكَ عِنْدَ ظَنِّي (٥)  
رَحِيبِ السَّرْبِ أَرَعَنَ مُرْجِحِنَ (٦)  
على أوصالِ ذِيالِ رَفْنِ (٧)  
عليها مَعَشَرٌ أشباهُ جِنِّ (٨)

فها هو ذا جَحْفَلُ أسدٍ زاحفاً لِفِسانِ، فهو المَعْمُورُ وغِسانُ مُغارٍ عليها. وهذا يَتَّفِقُ مع ما قاله عبيد، وليس مع ما قاله عمرو بن شأس.

(١) عُيَيْنَةُ: هو عُيَيْنَةُ بن جِصْنِ بن حُدَيْفَةَ الفَرَارِي. وكان أبوه جِصْنِ سيدَ فَرارةَ في عهد الحارث الأصغر، وقد أصيب جِصْنِ يومَ بني عُقَيْلِ من عامر. ولجِصْنِ قصيدة ينصح فيها لَفَرارةَ أن يُؤلِّوا عُيَيْنَةَ بعد موته. انظر القصيدة في أمالي المرتضى (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧)، ١: ٢٣٠. والمصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢)،

وقد أدرك عُيَيْنَةَ الإسلام، وأسلم، ووصفه الرسول الكريم بأنه السيد المحقق.

(٢) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ١٢٥.

(٣) نفسه، ص ١٢٥.

(٤) الحَيِّ الْمُبِينِ: المقيم زمن الربيع.

(٥) حُجْرٍ: حُجْرُ بن الحارث الكِنْدِي أبو امرئ القيس.

(٦) الجيش الأرعن: المضطرب لكثرة. والمُرْجِحِنُ: الثقيل.

(٧) الرُّفْنُ: الذِيالُ والمتبختر في بَطْرِ.

(٨) المَسَوِّماتُ: المَعْلَماتُ اللواتي عليهم علامات يعرفن بها في الحروب.

وها نحن أولاء نرى أن صورة جحفل أسد الجرّار تتكرّر عند النابغة الذبياني: فهو رَحْبٌ يملأ الطرق، أرعُنْ ثَقِيل، ورجاله كاللُّيُوثِ مجرّبون غير أغرار، يُشبهون الجنّ. والجياد ذِيَالَة ضوامر، ضمور القُدْح الصَّلِيب.

### عَدِيّ وَقُرْص

ليس فيما كتبه نولدكه أو جواد علي أو غيرهما ممن اطلعوا على كتابات المؤرخين غير العرب، ما يعين على تبين حقيقة عَدِيّ وَقُرْص اللذين قتلتهما أسد يوم القُرَات، والاشارة التي أوردها جواد علي مستقاة من المصادر العربية<sup>(١)</sup>.

وفي كلا الرجلين - إذا كان قُرْص رجلا وليس جبلا - كلام: فقد ذكر ابن الشجري أن عَدِيًّا هو عَدِيّ بن مالك ابن أخت الحارث بن أبي شَمِر<sup>(٢)</sup>. وفي شرح ديوان حسان «هو عَدِيّ ابن أخت قُرْص الغسانيّ. وكان قُرْص ملكا من ملوك غسان، غزا عَدِيّ بني أسد فقتلوه»<sup>(٣)</sup>. وفي الأغاني «أغار ملك من ملوك غسان يقال له عَدِيّ، وهو ابن أخت الحارث بن أبي شَمِر الغساني علي بني أسد، فلقبته بنو سعد بن ثعلبة... فقتلت بنو سعد عديا... فقالت فاخنة بنت عدي:

لعمرك ما خشيت علي عدي رماح بني مقيدة الحمّار  
ولكنني خشيت علي عدي رماح الجنّ او اياك حار  
تعني الحارث بن أبي شمر خاله:

قتيل ما قتيل ابني حذار بعيد الهمّ طلاع النجار<sup>(٤)</sup>  
ففاخنة لم تُخش علي عديّ رماح أهل الحرة<sup>(٥)</sup> وهي تُقيد حمار الوحش فلا تدعُه

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ٣: ٤٣٦.

(٢) ابن الشجري، هبة الله بن علي، مختارات شعراء العرب (تحقيق علي محمد بجاري، مكتبة دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥)، ص ٣٢٦.

(٣) الديوان (تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية القاهرة، ٩)، ص ٢١٩.

والديوان (تحقيق وليد عرفات)، ٢: ١٧٢.

(٤) الأغاني، ١١: ١٨٩ - ١٩٠.

(٥) مقيدة الحمّار في الاغاني امرأة من كنانة يقال لها تماضر وهي أم قتلي عدي.

يسير من شدّة وعورتها - ولكنها تخشى عليه من الطاعون - وهو في نظر الجاهليين من  
وَحَزْرَمَاحِ الْجَنِّ - أو تخشى عليه من الحارث نفسه .

وَتَشْتَبِهُ عَلَى هَذِهِ الرَّوَايَةِ لِلْبَيْتَيْنِ رَوَايَةٌ أُخْرَى لثَعْلَبِ ، لَيْسَ فِيهَا اسْمُ عَدِيٍّ ، وَإِنَّمَا فِيهَا  
اسْمُ (أَبِي) ، فَقَدْ رَوَى ثَعْلَبُ الْبَيْتَيْنِ :

لَعُمْرَكَ مَا نَحْشِيْتُ عَلَى أُبَيْدٍ رِمَاحَ بَنِي مُقَيْدَةَ الْجِمَارِ  
وَلَكِنِّي نَحْشِيْتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ الْجَنِّ أَوْ إِيَّاكَ حَارِ (١)

وتوافق رواية الثعالبي (٢) رواية الأغاني ، ويوافق الشيلي (٣) ثعلباً ، وأخذ بالروايتين ابن  
منظور (٤) .

وإذا كان هذا الكلام لم يزد عدياً إلا غموضاً ، فإن الغموض الذي يحيط بقُرْصٍ أشدّ .  
قال ابن الشَّجَرِي : « قُرْصُ بَنِ مَالِكٍ مِنْ غَسَانَ ، وَيُقَالُ هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ  
بَنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَيُقَالُ : هُوَ مِنْ كِنْدَةَ » (٥) . وفي شرح ديوان حسان بن ثابت  
« وَكَانَ قُرْصٌ مَلِكاً مِنْ مَلُوكِ غَسَانَ » (٦) . وقال ياقوت : « تَلُّ بِأَرْضِ غَسَانَ فِي شَعْرِ عَيْبِدِ  
بَنِ الْإِبْرَصِ » (٧) .

وإِخَالِ أَنْ مَرَدَّ هَذَا الْخِلَافِ الْبَيْتَانِ نَفْسَهُمَا اللَّذَانِ وَرَدَ فِيهِمَا اسْمُ قُرْصٍ . وَلَا أَرَى  
عَلَيَّ تَرْبِيّاً إِذَا أَعَدَّتْ كِتَابَتَهُمَا ، وَهَمَا :

نَحْوُ قُرْصِ يَوْمِ جَالَتْ حَوْلَهُ الْخَيْلُ قَبْلاً عَنْ يَمِينِ وَشِمَالِ (٨)

(١) ثعلب ، أحمد بن يحيى ، مجالس ثعلب (تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ،  
١٩٦٠) ، ٢ : ٢٧٤ .

(٢) الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (مطبعة  
الظاهر ، القاهرة ، ١٩٠٨) ، ص ٥٣ .

(٣) الشيلي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، آكام المرحان في أحكام الجان (مطبعة السعادة ، القاهرة ،  
١٣٢٦هـ) .

(٤) انظر لسان العرب ، المواد : رمح ، وحرمر ، وقيد . وقد جاءت (أبي) في مادتي : رمح وحرمر ، وجاءت (عدي)  
في مادة قيد .

(٥) مختارات شعراء العرب ، ص ٣٢٧ .

(٦) الديوان (تحقيق وليد عرفات) ، ٢ : ١٧٢ .

(٧) معجم البلدان ، مادة قرص . (٨) ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ٩٤ .

ثم:

وَنَحْنُ قَتَلْنَا مُرَّةَ الْخَيْرِ مِنْكُمْ وَقُرْصاً قَتَلْنَا كَانَ مِمَّنْ أَوْلَاكُمْ<sup>(١)</sup>

أما ياقوت الذي عدَّ قُرْصاً جبلاً فيظهر أنه التفت إلى البيت الأول دون الثاني، وهو في غزو أسد لغسان، وجولان الخيل حول جبل أقرب من جولانها حول رجل. ولو كان ياقوت قد التفت إلى البيت الثاني لأطرح هذا الاحتمال، فقتل قُرْص يميّطه لا محالة.

وأما من قال: قُرْص من غسان، فاستند إلى أن أسداً قَتَلَتْ قُرْصاً، وأن الخيل جالت حوله بعد انتجاعها الحارث الأعرج.

وأما من قال: قرص من عامر بن صعصعة، فاستند إلى ما بين أسد وعامر من عدا، وفي القصيدة التي منها البيت الثاني افتخار بانتصار أسد على عامر.

والقول: قُرْص من كِنْدَةَ، موافق طباقاً للبيت الثاني، فالقصيدة في خطاب امرئ القيس، والفخر عليه بفعال قبيلته وانتصاراتها على كِنْدَةَ وعامر، وقتلها حُجْراً أبا امرئ القيس، وعمراً جَدَّة (٢) وعمية الأجدلّين ومالكا. وفخر عبيد بقتل مُرَّة الخير، وجعله من كندة (منكم) وعطف قُرْص عليه يستتبع أن يكون قُرْص من كِنْدَةَ. ولكن البيت الأول يزيل هذا القول.

فأقرب ما يتحصّل من هذه المناقشة أن يكون قُرْص من غسان. ولكن اسمه يظل غريباً على رغم موافقته لسان العرب. ففيه إشمام من عُنْجَمَة تجعلني أميل إلى جعله محرّفاً من (دقص) Dux، وتعني رئيساً أو قائداً عند البيزنطيين<sup>(٣)</sup>.

بكاء عبيد بن الأبرص قومه.

وإذا كان عبيد وعمرو بن شأس قد فخرا بانتصار أسد على غسان، فإن في شعر عبيد ما يُظنُّ أنه دالٌّ على ما ابتليت به أسد من غسان. وقد لاحظ حسين نصار أن عبيداً يكي قومه بني سَعْد بن ثَعْلَبَة، الذين أبادتهم الحُروب والمنايا «في حروبهم مع الغساسنة، فيما يظهر من شروح الديوان»<sup>(٣)</sup> في قوله:

(١) نفسه، ص ١١٧.

(٢) نولده، أمراء غسان، ص ١٨.

(٣) الديوان، ص ٨.

ديارُ بني سَعْدِ بنِ نَعْلَبَةَ الألي أذاعَ بِهِم دَقْرَ على الناسِ رائِبُ  
فأَذْهَبَهُم ما أَذْهَبَ الناسَ قَبْلَهُم ضِرْاسُ الحروبِ والمنايا العواقِبُ

أقول: يمكن أن يدلّ بكاء عبيد قومه الذين أذهبهم ضراسُ الحروبِ والمنايا التوالي،  
على أن غسان أدمت أسداً، ولكن هذا الادماء لم يَلْحَقْها من غسان وحدها، بل منها  
ومن غيرها ككندة وعامر وتميم وعَبَس، حتى باتت أسد دريئة تصيبها السهام من كل  
صَوْب، ولكنها احتملت ذلك بإباء واقتدار.

## ب - في عهد الحارث الأعرج وولديه

لا نجد - أو لم أجد - بعد الحارث الأعرج شعراً لأسد فيه ذكر لغسان، وبشر بن  
أبي خازم الأسدي الذي كنت آمل أن أجد في ديوانه شعراً عن علاقة أسد بغسان، يخلو  
ولو من إلماح إليهم. فقد تغنى بانتصار أسد وأحلافها من غَطَفان وطِيء وضمّة على بني  
عامر وتميم يومي التَّسار والجِفار، وسكت عن صراع أسد مع غسان، فلم يذكرها بخير  
أو شرّ.

\*\*\*

وإذا كانت أيام أسد مع غسان في عهد الحارث الأصغر وولديه: النعمان وعمرو لم  
تظهر في شعر شعراء أسد، فإنها ظهرت في شعر النابغة الذبياني.

ويظهر من ذلك الشعر أن أسداً أصيبت في غَسان، حتى صيرها النابغة عبّرةً للذبيان،

يصيبها ما أصاب أسداً إذا هي لم تُذعن لغسان. ويتبدى هذا من قصيدته التي مطلعها (١).

إني كأتني لدى النعمانِ خَيْرُهُ بعضُ الأودِ حديثاً نسرَ مَكْذُوبِ (٢)

ومن خبر هذه القصيدة أن النابغة «ركب إلى الحارث بن أبي شمر (٣)، ليكلّمه في أسارى بني أسد وبني فزارة، فأعطاه إياهم وأكرمه. وقد كان حصن بن سائبقة الفزاريّ أصاب في غسان قبل ذلك بعام، فقال الحارث للنابغة: ما دسّ بني أسد إلا حصن، وقد بلغني أنه لا يزال يجمع عليه الجموع ليصير على أرضنا. وقد كان النعمان بن الحارث شديداً غليظاً، فدخل عليه النابغة، فقال له النعمان: إن حصناً عظيماً الذنب إليها وإلى الملك، فقال له النابغة: إن الذي بلغك باطل» (٤).

ويظهر أن الحملة التي قام بها الحارث أصابت بني أسد على (الأمرار) (٥)، فقتل وأسر وسبي، قال النابغة:

ولا تُلاقِي كما لاقَتْ بنو أسدٍ      فقد أصابَتْهُمُ بشؤبِ  
لم يبقَ غيرُ طريدٍ غيرِ مُنْقَلَبِ      وموثقٍ في حبالِ القِدْرِ مَسْلُوبِ  
أو حُرّةٍ كمهاةِ الرَّمْلِ قد كبلت      فوق المعاصمِ منها والعراقِبِ  
تدعو قُعَيْنًا وقد عضَّ الحديدُ بها      عَضَّ الثُّقَافِ على صَمِّ الأنايِبِ

والسبايا يدعون قُعَيْنًا، وهم «حيّ من أسد» (٦)، ولكن لا معين لهم منهم.

- 
- (١) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٤٩.
  - (٢) الأود: جمع ودّ، وهو ذرّ الود.
  - (٣) لقد اتضح من البحث أنه الحارث الأصغر بعد أن تبين الحارث بن أبي شمر.
  - (٤) ديوان النابغة الذياني (تحقيق أبو الفضل إبراهيم)، ص ٤٥. والديوان (تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠)، ص ١٤. وفي ديوانه (جمع محمد بن عاشور، الشركة التونسية، تونس، ١٩٦٧)، ص ٥٠ زيادة مفيدة.
  - (٥) الأمرار: قال ياقوت: اسم مياه بالبادية، وقيل مياه لبني فزارة وقيل: هي عُراير وكُنِيْب يذعيان الأمرار لمرارة مائهما (معجم البلدان، مادة أمرار). وعُراير تحدّد مكان الأمرار، فهي تقع في الطريق بين المدينة وثيماء (شمال غرب الجزيرة، ص ٤٠١).
  - (٦) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، مادة بني قعين.

(٤)

## بين غسان وذبيان أ - النابغة الذبياني

لقد كَفَانِي النابغة الذبياني مؤونة التنقير عن غيره في استجلاء علاقة غسان بذبيان :  
فالنابغة ابن قبيلته ، وابن بَجْدَتِهَا ، وذو المكانة فيها ، وهو وثيق الصلة بالغساسنة والمناذرة  
معا على ما بينهما من خصام .

وليس تَطَلَّبَتِي الآن أن أتحدّث عن النابغة ، وقدرته الفائقة على وُلُوج الموالج  
الصُّعَاب ، ومصانعة المتخاصمين ، فحسبنا تلك القصيدة التي تصحّ لمدح الغساسنة  
والمناذرة ، وهي التي مطلعها<sup>(١)</sup> :

أَتَارِكَةٌ تَدُلُّهَا قَطَامٍ وَضَنْأٌ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ

والتي اختلف الرواه فيمن قيلت : فهي في عمرو بن هند عند الأَعْلَمِ الشُّتَمَرِيِّ<sup>(٢)</sup> ،  
وهي في المنذر بن المنذر عند ابن الكلبي<sup>(٣)</sup> ، وهي في عمرو بن الحارث الغساني عند  
أبي عبيدة<sup>(٤)</sup> . وكأني بالنابغة قد أرادها أن تكون على هذا النحو المحيّر ؛ حتى يحافظ  
على علاقته الطبيعية بالمناذرة والغساسنة معا .

★ ★ ★

وعلى الرغم من أن الأصمعي قد دفع أن النابغة أدرك عمرو بن هند «لأن عمراً كان  
مَلِكًا قَبْلَ المنذر أبي النعمان ، وملك عشر سنين ، وملك النعمان ابنه ثمانياً وثلاثين سنة ،

- 
- (١) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) ، ص ١٣٠ .  
(٢) اشعار الشعراء الستة الجاهليين (دار الآفاق ، بيروت ، ١٩٨١) ، ص ١٨ .  
(٣) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد ابو الفضل) ، ص ١٣٠ .  
(٤) نفسه ، ص ١٣٠ . وانظر مناقشة الروايات في أمراء غسان ، ص ٣٩ - ٤٠ .

والنابغة مات وعمره خمسون سنة، ولا يجوز أن يكون مدح عمرو بن هند، وهو - أي  
النابغة - ستين». (١).

أقول: على الرغم من ذلك، فإن في شعر النابغة مدحاً للحارث الأعرج الغساني  
الذي كان معاصراً للمنذر بن ماء السماء، قال: (٢)

واللهِ واللهِ لِنِعْمِ الْفَتَى الـ أَعْرَجُ لَا التَّكْسُ وَلَا الْخَامِلُ  
والمنذر بن ماء السماء هو أبو عمرو بن هند.

وفي ديوان النابغة ثلاث عشرة (٣) قصيدة ومقطوعة في غسان: واحدة (٤) في الحارث  
بن أبي شمر، وواحدة (٥) في الحارث الأصغر ابن حُجْر (أو عمرو) بن النعمان بن  
الحارث الأعرج، وسبع (٦) في النعمان بن الحارث الأصغر، وأربع في عمرو بن الحارث  
الأصغر.

#### ب - سبب الخلاف بين غسان وذيان

ثمة منطقة كانت مصدر خلاف بين غسان وبين ذيان وأسد. تلك المنطقة تقع بين  
الجناب وعالج، وقد ظهرت هذه المنطقة بجلاء في شعر النابغة الذياني، حيث قال  
ينصح قومه: (٧)

وَحَلُّوا لَهُ بَيْنَ الْجِنَابِ وَعَالِجٍ فِرَاقَ الْخَلِيطِ ذِي الْأَذَاةِ الْمُزَابِلِ  
أما الجناب فقد حَدَّدها الشيخ حمد الجاسر «بالأرض الفسيحة الواسعة الواقعة في

(١) ديوان النابغة الذياني (جمع محمد بن عاشور)، ص ١١٤.

(٢) نفسه (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ١٦٧.

(٣) ديوان النابغة الذياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٤٠، ٤٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٧، ١١٥،  
١٣٠، ١٤١، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٣، ٢٠٦.

(٤) نفسه، ص ١٦٧.

(٥) نفسه، ص ٢٠٦.

(٦) نفسه، ص ٤٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٧، ١١٥، ١٦٥، ١٦٦.

(٧) نفسه، ص ٤٠، ١٣٠، ١٤١، ١٨٣.

(٨) نفسه، ص ١٤٤.

عِراضِ نَخِيْبَرٍ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى ثِيْمَاءَ ، حَيْثُ يَحْدُّهَا جَبَلٌ حَدَدٌ - هُوَ جَبَلُ ثِيْمَاءَ (عُنَيْم) -  
ثُمَّ تَمْتَدُّ هَذِهِ الْأَرْضُ نَحْوَ الشَّمَالِ حَتَّى تَتَّصِلَ بِوَادِي عَزْدَةَ الَّذِي يَقَعُ أَعْلَى وَادِي الْقَلْبِيَّةِ ،  
الْقَرْيَةِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا الْمَتَّجِعُ إِلَى تَبُوكَ ، وَهَذِهِ الْأَرْضُ يُطَلَقُ عَلَيْهَا الْآنَ (الْجَهْرَاءُ) أَرْضُ ذَاتِ  
أُودِيَّةٍ وَمَسْتَنْقَعَاتٍ وَاسِعَةٍ . (١)

وَأَمَّا عَالِجٌ فَتَسْمَى الْيَوْمَ النُّفُوزُ ، وَهِيَ الصَّحْرَاءُ الْمَمْتَدَّةُ مِنْ شَمَالِ جَبَلِ أَجَا أَحَدَ جَبَلِي  
طَبِيءٍ (شَمَّرَ الْيَوْمَ) إِلَى دُوْمَةِ الْجَنْدَلِ (الْجَوْفِ الْيَوْمَ) ، وَهِيَ صَحْرَاءٌ لَا تَخْطُهَا الْعَيْنُ فِي  
أَيَّةِ مَصَوْرَةٍ جُغْرَافِيَّةٍ لَلْجَزِيرَةِ الْعَرَبِ .

فَهَذِهِ الْأَرْضُ الشَّاسِعَةُ كَانَتْ مَطْمَعَ غَسَّانٍ وَمَطْمَعَ قَبَائِلِ الْأَحَالِيفِ ، وَخَاصَّةً ذِيَانَ  
وَأَسْدًا . فَكَامَتْ غَسَّانُ فِي عَهْدِ الْحَارِثِ الْأَصْغَرَ بِإِحْمَاءِ الْحِمَى فِيهَا ، كَحِمَى النُّعْمَانَ بْنِ  
الْحَارِثِ الْأَصْغَرَ فِي ذِي أَقْرَ ، فَلَمْ تَأْبَهُ ذِيَانَ وَأَسْدٌ لِهَذِهِ الْحِمَى فَتَرَبَّعَتْ ، فَهَاجَمَهَا  
النُّعْمَانُ وَأَسَرَ مِنْهَا ، فَقَالَ النَّابِغَةُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي مَطَّلَعَهَا : (٢)

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذِيَانَ عَنْ أَقْرَ وَعَنْ تَرَبُّعِهِمْ فِي كُلِّ أَصْفَارٍ (٣)  
وَعَاوَدَتْ ذِيَانَ تَرَبُّعَهَا ، فَأَغَارَ عَلَيْهَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ الْأَصْغَرَ ، فَقَالَ النَّابِغَةُ قَصِيدَتَهُ  
الَّتِي مَطَّلَعَهَا : (٤)

أَهَاجِكَ مِنْ أَسْمَاءِ رَسْمِ الْمَنَازِلِ بَرُوضَةٍ نُعْمِي فَذَاتِ الْأَجَاوِلِ  
وَمَا يُسْتَغْرَبُ أَنْ يَكُونَ النَّابِغَةُ مَعَ غَسَّانٍ ضِدَّ قَوْمِهِ عِنْدَمَا طَلَبَ أَنْ تَخْلِي ذِيَانَ تِلْكَ  
الْأَرْضَ الشَّاسِعَةَ لِعَمْرُو بْنِ الْحَارِثِ الْأَصْغَرَ .

(١) حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة (دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٧٠) ، ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

(٢) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص ٧٥ .

(٣) ذو أقر وأقر موضعان متقاربان كما يفهم من معجم البلدان (انظر مادتي أقر وأقر) . وفيه أن ذا أقر واد لبني  
مُرَّة ، وهو واد نَجْلٍ - أي واسع - مملؤ حَمُضًا . وهو قريب من أرض الشربة . والشربة شرقي وادي الرمة  
المشهور (انظر شمال غرب الجزيرة ، ٥٥٩ - ٥٦٠) .

(٤) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص ١٤١ .

## ج - في عهد الحارث الأصغر

لقد تحدّثتُ عن الحملة التي قام بها النعمان بن الحارث الأصغر في عهد أبيه على أسد وذبيان في أثناء الحديث عن أسد. وقد صوّر النابغة هذه الحملة عندما خرجت خيل الغارة الضّوامر من الجَوْلان إبان القَيْظ، عليها فرسان أباة من شيب وشبان قد درّبوها على الحروب، فما أصابت الخيل من النوم إلا غرّاراً حتى بلغت أهل المِلح وقد أخذ منها الكلالُ كلَّ ما أخذ، يتصبب منها العرقُ كانصباب الماءِ من القِربِ الوُفْرِ.

قال: (١)

فادَ الجيادَ مِنَ الجَوْلانِ قانِظَةً	من بَيْنِ مُنْعَلَةٍ تُزْجِي ومجنوبِ (١)
حتى استغاثتْ بأرضِ المِلحِ ما طَمِعَتْ	في مَنْزِلِ طَعْمِ نَوْمٍ غَيْرِ تَأْوِيبِ (٢)
يَنْضَحْنَ نَضْحَ المَزادِ الوُفْرِ أتاقها	شَدُّ الرِوَاةِ بماءِ غَيْرِ مَشْرُوبِ (٤)
قُبُ الأياطِلِ تُرْدِي في أَعْتِها	كالخاضياتِ مِنَ الرُّعْرِ الظَّنابِيبِ (٥)
شُعَتْ عليها مَساعيرٌ لِحَرْبِهِم	شَمُّ العَرانينِ من مُردٍ ومِنْ شيبِ (٦)

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٥٠.

(٢) ذكر فيليب حتى أن عاصمة آل جفنة كانت في البداءة معسكراً متنقلاً، ثم صارت الجابية في الجَوْلان عاصمة لهم، وجِلَق الواقعة جنوبي حُوران في بعض الأحيان. انظر:

History of Syria (Macmillan & co-LTO, London, 1959), p.401

وُدْفن النعمان بالجَوْلان بين بُضرى وجاسيم. انظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ١٢١.

وُزْجِي: تساق. والْفَرَسِ المَجْنُوبِ: المَقُود.

(٣) أرض الملح كثيرة في شمال الجزيرة حتى سميت قرية باسم قُرَيَاتِ المِلح. وقد ورد يوم باسم (يوم الملح) في شعر زيد الخيل الطائي. انظر ديوان زيد الخيل الطائي (صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف؟)، ص ٣٧.

والتأويب: السير جميع النهار، ولعلها هنا الشرب عند القائلة.

(٤) المَزاد: جمع المَزادة، وهي القرية. والْوُفْر: جمع الوُفراء، وهي الملائى. وأتاق: ملأ.

(٥) قُبُ الأياطِلِ: ضَمُّرُ البُطون. وتروى: تُرْجَمُ الأرض بحوافرها في عَدوها. والخاضيات من الرُّعْرِ الظَّنابِيبِ: كتابة عن النعام. والخاضيات: مُحَمَّرَةُ السوق، وتحمر عادة سيقان الظلمان في وَقْتِ الخِصَابِ. والرُّعْرُ: فِصْار الرِّيش. والظَّنابِيبِ: عظام السُّوق.

(٦) شَمُّ العَرانين: كتابة عن الآباء والشموخ. والبِرْزِينُ الأَسْمُ: الأنف الذي عُلَّتْ أُرْبُشُهُ.

وقد أصابت هذه الحملة أسداً ولم تُصب فزاة من ذبيان ، ولذلك ينصح النابغة لفزاة  
أن تُفر إلى الجبال والجرار ، كيلا تلاقى ما لاقته أسد :

فإذ وقيت بحمدِ الله شريتها فأنجني فزازَ إلى الأطوادِ فاللوب (١)

#### د - في عهد النعمان بن الحارث الأصغر

يبدو أن النعمان لم يُقم في عهد توليه إمارة غسان بعد مقتل (٢) أبيه الحارث الأصغر  
بقيادة الغارة على ذبيان عندما تربعت أقرأ ، وإنما أوكل أمر قيادة الغارة إلى ابن الجلاح  
الكلبي فقد قال ياقوت : « قَبَعَتِ النعمان بن الحارث إليهم جيشا وعليه ابن الجلاح  
الكلبي ، فأغار عليهم بذي أقر ، وسى ستين أسيرا وأهداهم إلى قيصر الروم .

وقصيدة النابغة تحذير لذيبيان من غارة عليهم ، فقد اجتمعت عليهم غسان وكلب  
ورَهطُ رُبعي وحجّار من قضاة ، (٣) وقد تمنى النابغة فيها ألا يرى نساء ذبيان سبايا  
مردفات وراء الأجراء والأثباع ، يذرفن العبرات ، وينظرن شزراً إلى السبابة ، وعلى وجوههن  
امتعاض بين من إنكار الرق وهن الحرائر :

لا أعرفن ربباً حوراً مدايعها كأن أبكارها نعاج دوار (٤)  
ينظرن شزراً إلى من جاء عن عرض بأوجه منكرات الرق أحرار  
خلف العضايرط لا يوقين فاحشة مستمسكات بأقتاب وأنوار (٥)  
يذرين دمعاً على الأشفار منحديراً يأملن رحلة حصن وابن سيار

(١) اللوب : جمع اللابة ، وهي الحرة .

(٢) يستفاد هنا من قصيدة النابغة التي مطلعها :

إن يسلم الحارث الحراب تعرفوا جيشاً مغيراً على ثهلان أو خطراً

الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ، ص ٢٠٦ .

(٣) نفسه ، ص ٧٧ .

(٤) الرزب : القطيع من بقر الوحش ، وقد استعيرت للنساء .

(٥) العضايرط : جمع المضروط ، وهو الأجير والتابع .

لقد نهى ذبيان عن ترُّبِ ذي أقر، فعصته . وها هو ذا النعمان مقبل بجمع جرّار لا كفاء  
 لذبيان به، فما له هو نفسه إلا أن يلجأ الى حَرّة النار<sup>(١)</sup>، أو أن يضع بيته في حَرّة  
 سوداء - وحجارة الحرار سود - لا يقتدر المغيرون أن يبلغوها :

إما عصيت فإني غير مُنفلتٍ مني اللّصابُ فجنبا حَرّةِ النارِ<sup>(٢)</sup>  
 أو أضع البيت في سوداءٍ مُظلمةٍ تُقيّد العيرَ لا يسري بها الساري<sup>(٣)</sup>  
 تدافع الناسُ عنا حين نركبها من المظالمِ تُدعى أم صبار<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

في شعر النابغة ما يدلّ على أن ابن الجلاح أصاب ذبيانَ في غزاته، حيث أقبل  
 بجيش كثيف، فأصاب ذبيان قسراً فأضحوا عبيداً له . وأنعم عليهم، ولم يك بخيلاً .  
 قال<sup>(٥)</sup> :

صَبَحَتْ بني ذبيانَ منه بغارةٍ جَرَتْ لك مِنْها السَّانِحَاتُ بأَسْعَدِ<sup>(٦)</sup>  
 أصابَهُمْ قسراً فأضحوا عِبَادَهُ فجلَّلها نُعمى ولم يتشَدَّد<sup>(٧)</sup>

(١) حَرّة النار : في الجنوب الشرقي من المدينة . انظر الخريطة في :

Doughty, Charles M. Travels in Arabia Desarta (Jonathan cape London), vol. 1 .

(٢) اللّصاب : جمع اللّصب، وهو الشَّعْبُ الصغير في الجبل أو مَضِيق الوادي .

(٣) العير : حمار الوحش . والحرة تقيده من كثرة أحجارها فلا تدعه يسير .

(٤) أم صبار هي حَرّة النار .

(٥) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٢١٢ .

(٦) السانحات من الطيور والظباء ما ذهبت من مياسر السائرين الى ميامنهم وهي قال حسن عند بعض العرب

(ومنهم ذبيان)، ومنهم من يتفائل بالبارح وهو الذي يولي المياسر .

(٧) عباده : عبيده . يتشدد : يخل .

## هـ - في عهد عمرو بن الحارث الأصغر

يذكر شراح ديوان النابغة أنه قال قصيدته التي مطلعها (١):

أهاجَكَ من أسماء رَسْمُ المنازلِ بَرُوضَةَ نُعْمِي فذاتِ الأجاوِلِ

في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر العَسَّاني بيني مُرَّةً بنِ عَوْفِ بنِ سَعْدِ بنِ ذُيَّانِ « (٢) .

ولكن القصيدة لا تتحدث عن وقعة قد ثمت، وإنما تتحدث عن غزوة متوقعة سيقوم بها عمرو بن الحارث الأصغر رداً على تربع مرة روضة نومي وذات الأجاول في المنطقة الواقعة بين الجنب وعالج، وهي المنطقة التي ذكرت أنها سبب الصراع بين غسان وذيان.

ويُظهر النابغة فرعه من تلك الغزاة، فجعله فوق فرع وعجل من وعول جبل ذي المطارة:

وقَدْ خِفْتُ حتى ما تَزِيدُ مَخَافَتِي على وَعِجِلِ من ذي المَطَارَةِ عَاقِلِ

ويُظهر عمراً يقود جحفاً ربيعياً كأنه حرة راجل ذات الحجارة السود، وتبدو الخيل قد آدها الجري من بعد الشقة، فنحل عودها، واصفر نخاع عظامها ورق، وبرى الصوان حوافرها، فبدت الخيل - على نحو لها وبري حوافرها - لطافاً كالقنا الذوابل:

مَخَافَةٌ عمرو أن تكونَ جِبادُهُ يُقَدِّنَ إلينا بينَ حافٍ وناعِلِ (٣)

إذا استعجلوها عن سَجِيَّةٍ مثلها تَبْلُغُ في أعناقِها بالجَحَافِلِ (٤)

شوازِبُ كالأجلامِ قد آلَ رُمُّها سَمَاحِقُ سُفْراً في ثَليلِ وفائِلِ (٥)

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ١٤١، والديوان (جمع محمد الطاهر بن عاشور) ص ١٩٥.

(٢) انظر الديوان بالتحقيق، ص ١٤١، ١٩٤.

(٣) المحافي: كناية عن الابل، ولو أنهم كانوا يلقون أتحافها بالخدّام من الجلد. والثاعل: كناية عن الخيل.

(٤) الجحافل: جمع الجحفلة، وهي بمنزلة الشقة من الإنسان.

(٥) الشوازب: الضواوير. والأجلام: جمع الحلم، وهو المقص. والرّم: بقية المخ. والسماحيق: جمع السّمحاق، وهو الجلدة أو القشرة الرقيقة فوق عظم الرأس.

والثليل: العنق. والفائل: اللحم الذي على ثفرة الورك.

بَرَى وَقَعَ الصَّوَانِ حَدَّ نُسُورِهَا فَهِنَّ لِطَافٍ كَالصَّعَادِ الذَّوَابِلِ (١)  
وتظهر صورة للخيل كالتي نراها في شعر الطفيل الغنوي حيث نرى الخيل تطرح  
أولادها فتبدو أسلاؤها كالوصلات الحمر، وتأتي الطير فتشبع من أولاد الخيل السخّل:  
وَيَقْدِفَنَّ بِالْأَوْلَادِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ تَشْحَطُ فِي أَسْلَافِهَا كَالْوَصَائِلِ (٢)  
تَرَى عَافِيَاتِ الطَّيْرِ قَدْ وَثِقَتْ لَهَا بِشَبْعٍ مِنَ السَّخْلِ الْعِتَاقِ الْأَكَائِلِ (٣)  
وترى الخيل قد جُنبت مع الابل - أي قرنت بها - حيث كانوا في الغارة الشحوط  
يركبون الابل، ويقودون الخيل، إبقاءً عليها ليكون لها قوة وجلد عند القتال والغارة.  
ويحملون الابل المَراجل التي يطبخون فيها، ويحملونها الدروع. وقد جعل النابغة دروع  
غسان سابعة لينة، قد حُفِظت خير حِفْظ، ووُقيت من الصدأ بَدْرْدِيّ الزيت، ومن التلف  
بحشوها بكرة:

مُقَرَّنَةٌ بِالْعَيْسِ وَالْأَذْمُ كَالْقَنَا عَلَيْهَا الْخُبُورُ مُحَقَّبَاتُ الْمَرَاجِلِ (٤)  
وَكُلُّ صَمُوتٍ ثَقْلَةٌ تُبْعِيَةٌ وَنَسِجٌ سَلِيمٌ كُلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ (٥)  
عَلَيْنَ بِكِدْيُونٍ وَأَبْطَنَ كَرَّةً فَهِنَّ وَضَاءٌ صَافِيَاتُ الْعَلَائِلِ (٦)

ولا بدّ لي من التلبث هوناً عند جيش الغارة، وفيه ثرى الخيل والابل، فتجنّب الابل

(١) النُور: جمع النُسر، وهو ما ارتفع في باطن حافر الفرس من أعلاه. والصَّعاد: جمع الصَّعْدَة، وهي قناة الرَّمح.

(٢) تَشْحَطُ: تضطرب. والأسلاء: جمع السلي، وهو العشاء الرقيق الذي يحيط بالجنين ويخرُجُ معه من بطن أمه. والوصلات: ثياب حُر في حطوط خضر.

(٣) السَّخْلُ: كلُّ شيء لم يُتَمِّمْ، وجمعها سُخْلٌ وسُخَالٌ (القاموس المحيط للفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، الباسي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢ - مادة سخل) وقد جعل النابغة (السَّخْلُ) للجمع. والآكائل: جمع الأَكِيلَة، وهي أَكِيلَة السَّبع التي يأكلها إذا افترسها.

(٤) الْخُبُورُ: جمع الخُبْر، وهي المَزَادَة ومُحَقَّبَاتُ الْمَرَاجِلِ: أي في حقائقها المَراجل التي يطبخون فيها.

(٥) الصَّمُوتُ: الدرع الثقيلة. والثَّلَّةُ: الواسعة. والتَّبْعِيَّةُ: نسبة إلى تباعة اليمن وسُلَيْمٍ: سليمان، وأزاد سليمان داود، لأن داود أول من عمل الدروع في اعتقاد العرب. والقضاء: التي فيها مسامير تشبه القمض وهي الحصى الصغار، وذلك أَمْتَنُ لِلدَّرْعِ. والدائل: الطويلة السابغة.

(٦) الكِدْيُونُ: وَزْدِيّ الزَّيْتِ، وهو ما رسب في قاع إناء الزَّيْتِ. والكَّرَّةُ: البَعر والرَّماد.

بالخيل، وتُحْمَلُ الإبل الرجال وشبكة الحرب وأدوات الطعام، وتكون الخيل خالية غير مُمتطاة. فإذا حانت ساعة المعركة نُحْلِيَتُ الإبل وامْتَطِيَتُ الجياد، فهي أداة الحرب الأساسية.

وسبيل الجاهليين في حفظ الدروع من الصدأ والتلف - كما أشار النابغة - كانت بطلانها بذردي الزيت وحشوها بالرماد والبعر. وهذه إشارة مهمة في صنو آلة من آلات الحرب.

### و - ملاحظة من أبي عبيدة

قال أبو عبيدة: «لم أسمع من تعنيف النابغة لبني أسد إلا القصيدة البائية<sup>(١)</sup> التي قالها في مدح الحارث بن أبي شمر، حين ركب إليه ليكلّمه في أسرى بني أسد وبني فزارة، فأعطاه إياهم وأكرمه، وقد خرج كلامه في الحُسن والاستواء حتى كأنه يصف ويذكر دياراً بعيدة»<sup>(٢)</sup>.

والنابغة لم يذكر أسداً فقط - وهم حلفاء ذبيان - كأنه ذكّر دياراً بعيدة وإنما ذكر قبيلته ذبيان أيضاً كأنه يذكر قوماً غرباء، وكأنه شاعر غساني، يتهدّد ذبيان بقوة غسان، فيتهول في قوتها، ويرسم صورة مفزعة لها، ليخوف بها قبيلته ذبيان، ويصدّع صفاتها، ويوهن من عزائمها.

وموقف النابغة من قومه لا أكاد أجد له نظيراً في الشعر الجاهلي!

أما التهويل في قوة غسان، فتراها عندما يمدح النعمان بن الحارث، فيصوره مُغبراً على قومه، قائداً الجياد من الجولان، عليها مساعير حرب من شيب غسان ومردهم، حتى بلغن أهل الملح، وكنّ ينضحن بالعرق كما يتبزل الماء من الروايا الوفر.

(١) أي التي مطلعها:

إنني كأنني لدى النعمان نخّره بعض الأؤدّ حديثاً غير مكذوب

(٢) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٥٤ (الحاشية).

وأما رسم صورة مفزعة لهم، فتراها عندما يمدح عمر بن الحارث الأصغر، فيخوف بها قومه، ويصوره ليثاً ضارياً مُنْقَبِضاً مُسْتَوْفِزاً لِفِرَاسِ قومه، فيسوق نساءهم سبايا، ويُردفهنّ خلف أتباعه وأجرائه، ولا يوقن فاحشة، فيذرين الدمع، وعلى وجوههن سيماء إنكار الرّق.

وتحذير النابغة سلبّي موهن ناكص، فمانرى - أو لم أر - شاعراً جاهلياً يدعو قومه إلى إخلاء منطقة واسعة لخصومهم، وإلى الفرار إلى الحرار، والتّجاء في الجبال.

\*\*\*

وقد جرّ موقف النابغة عليه خصومة بعض سادات قبيلته، ومنهم حصن بن حذيفة الفزاريّ الذي اتهمه النعمان بجمع الجموع لمحاربة غسان، وبذر بن حذار، وحزيم بن سيّار، وزيان بن سيّار صهر النابغة. (١)

(٥)

### بين غسان وطّيء

قال ابن سعيد في طّيء: «وهي الرّحى العظيمة التي نزلت حين خرجت من اليمن بعد سيل العرم على بني أسد، فحاربتها إلى أن اصطلمحتا على الجوار، فحلّت طّيء بجبلي أجأ وسلمى من نجد الحجاز إلى اليوم». (٢)

وقال اليعقوبي: «وكانت أسد منتشرة من لدن قصور الحيرة إلى تهامة، وكانت لطّيء مخالفة متفقة معها، ودارهما تكاد أن تكون واحدة». (٣)

(١) انظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٧٩ - ٨١.

(٢) نشرة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ٢٢٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ١: ٢٦٣.

وكانت طييء تقيم علاقة متعادلة مع المناذرة وغسان معاً، فبينها وبين المناذرة عقد ألا تغزو إحداهما الأخرى،<sup>(١)</sup> وبينهما وبين غسان إيلاف. فلما ذرّ الخلاف بين قبيلتي طييء: العوث وَجَدَيْلَة، قام الحارث بن جَبَلَة الغسانيّ بالاصلاح بينهما - قال ابن الأخير عن يوم اليحاميّ: «وهو بين قبائل طييء بعضها في بعض. وكان سبب ذلك أن الحارث بن جَبَلَة الغساني كان قد أصلح بين طييء، فلما هلك عادت عادت الى حربها»<sup>(٢)</sup>.

فأن يقوم الحارث بن جبلة بالاصلاح بين أحياء طييء إشارة دالة على مكازة غسان والحارث عند الطائيين.

وثمة إشارة أخرى يمكن الاستدلال بها على مكانة غسان، وردت في شعر قيس بن جرّوة الملقب بعارق الطائي، قال:<sup>(٣)</sup>

والله لو كان ابن جَفَنَة جارِكُم ما إن كَسَاكُم غُصَّة وهوانا  
وسلاسلًا يبرُقن في أعناقِكُم واذن لقطع تلَكُم الأقراننا  
ولكان عادته على جيرانه ذهباً ورِيْطاً رادِعا وجِفافنا<sup>(٤)</sup>

- (١) الحماسة، شرح المرزوقي. ص ١٤٦٦.
- ولكن هذا العقد تعرض للنقض عندما قام عمرو بن هند بغزو طييء، ويمكن تتبع أثر هذا الغزو في شعر عارق الطائي في نشوة الطرب، ١: ٢٣٦-٢٣٧.
- (٢) الكامل في التاريخ (الطابعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨ هـ)، ١: ٣٨٨.
- (٣) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، النقائص (تحقيق يفار، بريل، ليدت، ١٩٠٧)، ٢: ١٠٨٣.
- (٤) الرِيْط: جمع الرِيْطَة، وهي الثوب اللين الرقيق - والزادع: المزدع، المُلْمَع بالزعفران أو بالطيب. والجِفاف: جمع الخفنة، وهي القَصْعة.

ومناسبة هذه الأبيات - كما ذكر ابن الكلبي - أن « عمرو بن هند غزا اليمامة، فرجع مُنْفِضاً، فمرّ بطييء، فقال له زُرارة بن عُدس<sup>(١)</sup>: أصيب من هذا الحي شيئاً. قال: وبلك! إن لهم عَقْدًا. قال: وإن كان، فإنك لم تكتب العقد لهم كُلّهم، فلم يَزَلْ به حتى أصاب نسوة وأذوادا<sup>(٢)</sup>، فقال قيس: <sup>(٣)</sup>».

أَكَلُ حَمِيرٍ أَخْطَأَ الْعُتْمَ مَرَّةً      وَصَادَفَ حَيًّا دَائِمًا هُوَ سَائِقُهُ  
فَأَقْسَمْتُ لَا أُحْتَلُّ إِلَّا بِصَهْوَةٍ      حَرَامٌ عَلَيْكَ رَمْلُهُ وَشَقَائِقُهُ<sup>(٤)</sup>  
فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنِي      وَمَا ضَمُّ مِنْ بَطْحَائِهِنَّ دَرَادِقُهُ<sup>(٥)</sup>  
لَنْ لَمْ تَغْيِرْ بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ      لِأَنْتَحِينَ لِلْعَظْمِ الَّذِي أَنَا عَارِقُهُ

وما أروم أن أتلبث عند عارق، فشعره في هذه المناسبة وفر، وهو في علاقة طيء بالمناذرة أدخل. وما وقفت عنده إلا للمقابلة التي عقدها عارق بين عمرو بن هند وابن جفنة الحارث بن جبلة: فلو كان الحارث جارا لطيء لما أذاقها الهوان ولكان قد عادهم بالمال والكساء والطعام.

\*\*\*

وعلى الرغم من دخول طيء حلف أسد وذيان، فإن علاقتها بغسان والمناذرة قد ظلت متوازنة. وقمين ألا يعزب عنا معنى وجود إياس بن قبيصة الطائي في الحيرة، ومبلغ نفوذه فيها، حتى إن الفرس قد عيّنوه على الحيرة خلفاً للنعمان بن المنذر، آخر أمراء المناذرة.

- 
- (١) زُرارة بن عُدس: سيّد من سادات تميم، له أخبار كثيرة. انظر: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ٤٥٠، ٢٣٦، ٧٦.  
(٢) الأذواد: جمع الذؤد، وهي في الجمال من ثلاثة إلى عشرة.  
(٣) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي (تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني القاهرة، ١٩٧٠)، ص ١٧٠.  
(٤) الشقائق: جمع الشقيقة، وهي الفرجة بين الجبلين تُثبِت العشب.  
(٥) الدرادق: جمع الدرّاق، وهي صغار الإبل وغيرها.

أخشي أنني أستبق الأحداث، فأجدر بي أن ارتد إلى عهد الحارث الأصغر وابنه النعمان، إذ روى ابن الكلبي - وهو راوية ديوان حاتم الطائي - أن طيما «أغارت على إبل للحارث بن عمرو الجفني، وقتلوا ابنا له، وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلن ويستبينن الدراري، فحلف ليقتلن من القوث أهل بيت علي دم واحد، فخرج يريد طيما، فأصاب من بني عدي بن أخزم تسعين رجلا، رأسهم وهم بن عمرو من رهط حاتم» (١).

ويمكن تصحيح الرواية استنادا إلى ما مرّ على علاقة غسان بأسد وذيان، وقد تبينا أن النعمان بن الحارث الأصغر كان يحمي حمى بين عالج (الثفود) والجناب (الجهراء)، ويظهر أن الحملة التي أصابت أسدا وذيان أصابت طيما أيضا، فهي حملة واحدة فيما أرجح.

### صدي الحملة في شعراء طيء

لا نجد - أو لم أجد - صدي لهذه الحملة في غير شعر حاتم الطائي.

ذكر ابن الكلبي أن حاتما كان بالحيرة عندما غزا النعمان طيما، فلما قدم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها، فتقول: يا حاتم أسير أبو هذا. فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى الحارث ومعه ملحان بن حارثة، وكان لا يسافر إلا معه. (٢).

\*\*\*

وفي ديوان حاتم ثلاث قصائد في هذه المناسبة، يظهر أنه قال أولاهن إذ عزم على السفر إلى الحارث: (٣). ومطلعها: -

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٨٧-١٨٨. وفي ديوانه (طبعة دار صادر بيروت؟ ص ٥٥ «أغارت طيء على إبل للنعمان بن الحارث بن عمرو ورجل من بني جفنة، وقتلوا ابنا له». وفي الموقيات للزبير بن بكار (تحقيق سامي مكّي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢)، ص ٤٤٣.

«أغارت طيء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، وقتلوا ابنا له». وفي الأغاني (تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩) ١٧: ٢٨٨ أغارت طيء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، ويقال هو الحارث ابن عمرو رجل من بني جفنة، وقتلوا ابنا له».

(٢) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال) ص ١٨٨. والموقيات، ص ٤٤٣. والأغاني، ١٧: ٢٨٨-٢٨٩.

(٣) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١١٨.

ألا إنني قد هاجني الليلة الذُكْرُ وما ذاك من حُبِّ النساءِ ولا الأشر  
ويتبدى في هذه القصيدة - أو المقطوعة (١) - غموض مصير الأسرى الطائنين، فحاتم  
لا يدري ما الحارث فاعلٌ بهم: أيخلي سراحهم، ويردهم إلى أهلهم، أم يستبقهم أو  
يقتلهم صبراً أو يسترقتهم؟

ومصيرهم بين خير مأمول من الحارث - خير الناس حياً وميتاً - وشر متوقع سيحتمله  
هو وقومه، كما احتملوا شراً قبله، وصبروا عليه:

فيا ليت خير الناس حياً وميتاً يقول لنا خيراً ويُمضي الذي ائتمر  
فإن كان شرُّ فالعزاء بأننا على وقعاتِ الدهر من قبلها صبر

ويحدّد حاتم، من خلال دعاء بالسُّقيا، مقر الحارث بن عمرو، فيجعله جنوبَ جبال  
الشُّراة من مآبِ إلى زُغر:

سقى الله ربُّ الناس سحاً وديممةً جنوبَ الشُّراة من مآبِ إلى زُغر (٢)  
بلادَ أمرىء لا يعرفُ الدّمُ بيتهُ له المَشْرَبُ الصافي وليس له الكدْرُ

ويستوقف هذا التحديد لبلاد الحارث الفساني « جنوبَ الشُّراة من مآبِ إلى زُغر »:  
يستوقف جغرافياً لأن جبال الشُّراة كلّها اليوم تقع جنوب جبال مآب (مؤاب اليوم)،  
 ويفصل بينهما وادي الحسا. أما جبال مؤاب فتقع بين وادي المُوجبِ شمالاً ووادي  
الحسا جنوباً.

فتحديد حاتم لا يوافق أسماء المواقع اليوم. أكان حاتم لا يعرف ديار غسان لأنه  
ليس من أهلها، فأخطأ في تحديد المواقع، أم أن أسماء المواقع اليوم غيرها في زمن  
حاتم؟

والجواب عن هذا التساؤل يحتم عليّ ولوج باب من أبواب الجغرافية التاريخية،  
فتحديد الشُّراة ومآب وزُغر يحتاج إلى بحث خاص من أهل الاختصاص بذلك الباب.

(١) لأنها تسعة أبيات.

(٢) السح: الصب المتتابع. والديممة: المطر يدوم يومين وثلاثة مع سكون.

وإن جاز لي أن أقول في هذا المقام شيئاً أقل: يبدو أن رواية البيت هي:

سَقَى اللُّهُ النَّاسَ سَحْمًا وَدِيمَةً جَنُوبَ السَّرَاةِ مِنْ مَّآبٍ إِلَى زُغَرٍ

فهى السَّراةُ وليس الشَّراةُ، وهذه هى الرواية التى أثبتتها طبعة صادر<sup>(١)</sup> من ديوان حاتم، وهى المُثبتة فى الأغنانى<sup>(٢)</sup> والموفقيات<sup>(٣)</sup>.

والسَّراةُ هى سلسلة الجبال الممتدة غرب جزيرة العرب من شمالها الى جنوبها، وتُحدِّد أجزاءها باسم المنطقة التى تكون فيها، فىقال بذلك: سَراة الحجاز وسَراة اليمن.

وجبال الشَّراة وموآب وعجلون والسويداء امتداد طبيعى لسلسلة جبال السَّراة، وهى التى أطلق عليها حاتم (السَّراة) أو سَراة الشام إذا انسحب إليها ما انسحب على السَّراوات فى الجزيرة.

فكأنَّ حاتمًا أراد جنوب سَراة الشام حيث تقع بالفعل مآب وزُغَر.

★ ★ ★

وشمة مسألة أخرى فى هذا البيت وهو مآب، فقد جعلها حاتم مدينة أو قرية، وهى كذلك عند ياقوت، حيث قال: «وهى مدينة فى طرف الشام من نواحي البلقاء، قال أحمد بن محمد بن جابر: توجه أبو عبيدة بن الجراح فى خلافة أبى بكر فى سنة ١٣

(١) ص ٥٦

(٢) ٢٨٩: ١٧.

(٣) ص ٤٤٤.

بعد فتح بصرى بالشام الى مآب من أرض البلقاء وبها جمع العدو فافتتحها على مثل صلح بصرى .» (١).

وأرجح أن مآب مدينة مادبا اليوم .

وأما زُغَر فمدينة من مدن قوم لوط عليه السلام، وقد ورد ذكرها في العهد القديم باسم (صُوغَر) في الطبعة العربية (٢)، و (صوغر) لآلا في الطبعة العبرية (٣) وهي المدينة التي لجأ إليها لوط عليه السلام .

وزُغَر كثيرة الورد في كتب الجغرافيين العرب ذكرها ابن حوقل (٤) والاصطخري (٥) وياقوت (٦). وقال عنها ابن شداد: «هي مدينة حارة متصلة بالبادية، وبها نيل لا يُقصر عن نيل كابل» (٧).

وقد لفتني من تعليق الدكتور سامي الدهان - محقق الأعلام الخطيرة - ما ذكره أن «زُغَر هي قرية الشيخ عيسى في جنوبي البحر الميت» (٨)، فسألت زميلي الدكتور حسن عبد القادر والدكتور محمود أبو طالب، فأخبراني أنه لا توجد قرية باسم زغر اليوم، ولا قرية باسم الشيخ عيسى كما ذكر الدكتور سامي الدهان.

\*\*\*

- 
- (١) معجم البلدان - مادة مآب .
  - (١) سفر التكوين، اصحاح ١٩ (مطبعة عترة، القاهرة، ١٩٦٩) .
  - (٢) X 71 - 76, 77, 78 (1951) .
  - (٣) ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي، صورة الأرض (دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠)، ص ١٦٠ .
  - (٤) الاصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك (تحقيق محمد عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦١)، ص ٤٧ .
  - (٥) معجم البلدان، مادة زغر .
  - (٦) ابن شداد، عز الدين أبو محمد محمد بن علي إبراهيم الجليبي، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم الشام (تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢) . ص ٦٧ .
  - (٧) نفسه، ص ٢٨٩ (الحاشية) .

وذكر ابن الكلبي أن حاتماً « قال في أسارى قومه ، وكانوا عند بعض الملوك ، فلما سمع هذا الشعر وهبهم له » (١).

قال: (٢)

أَبِي طُولٌ لَيْلِكَ إِلَّا سُهُودَا	فَمَا إِنْ تُبِينُ لِصُبْحِ عَمُودَا
أَبِيْتُ كَثِيئاً أَرَاعِي النَّجُومَ	وَأَوْجِعُ مِنْ سَاعِدَيَّ الْحَدِيدَا
أُرْجِي فَوَاضِلَ ذِي بَهْجَةِ	مِنَ النَّاسِ، يَجْمَعُ حَزْمًا وَجُودَا
نَمَتْهُ أُمَامَةٌ وَالْحَارِثَا	نِ حَتَّى تَمَهَّلَ سَبْقًا جَدِيدَا
كَسَبَقَ الْجَوَادِ غَدَاةَ السَّرْهَا	نِ أُرَبِّي عَلَى السَّنِّ شَأوًا مَدِيدَا
فَأَجْمِعُ فِدَاءً لَكَ الْوَالِدَانِ	لَمَا كُنْتُ فِينَا بِخَيْرِ مُرِيدَا
فَتَجْمَعُ نَعْمَى عَلَى حَاتِمِ	وَتُخَضِّرُهَا مِنْ مَقَدِّ شُهُودَا
أُمِ الْهَلْكَ أَدْنَى فَمَا إِنْ عَلِمْتُ	عَلَيَّ جُنَاحًا فَأَخْشَى الْوَعِيدَا
فَأَحْسِنُ فَلَا عَارَ فِيمَا صَنَعْتُ	تُحْيِي جُدُودًا وَتُبْرِي جُدُودَا

فالحارث بن عمرو نماه حارثان وأمامة. ويغلب علي الرجحان أن الحارث هو الحارث الأصغر، وأن الحارثين اللذين نياه هما الحارث بن جبلة (وهو الحارث بن أبي شمر الأعرج)، والحارث بن ثعلبة. أما أمامة فاسم أمه، أم الحارث الأصغر.

\*\*\*

وقد أطلق الحارث من كان أسرهم من رهط حاتم، فقال: (٣)

أَبْلَغُ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو بَأْتِي	حَافِظُ الْوُدِّ مُرْصِدٌ لِلشُّوَابِ
وَمُجِيبٌ دُعَاةِ	إِنْ دَعَانِي عَجَلًا، وَاحِدًا، وَذَا أَصْحَابِ

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ٢٠٦.

(٢) نفسه، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٣) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٩٤ - ١٩٧.

فالحارث هو الحارث بن عمرو ، وحاتم حافظ للودّ، ومقدّر صنيع الحارث عليه . وهو  
يَعِدُه أن يلبّي الحارث اذا دعاه، هو و حده، أو هو وأصحابه .

إنما بيننا وبينك فاعلم سِيرٌ تَسْعُ للعاجِلِ المُنتابِ

فَثَلَاثٌ مِنَ السَّرَاةِ إِلَى الحَلْبَطِ لِلخَيْلِ جَاهِدًا وَالرَّكْسَابِ (١)  
وَثَلَاثٌ يَرْدَنَّ رَهْوًا وَثَلَاثٌ يُعْرُونَ بالإعْجَابِ (٢)  
فَإِذَا مَا مَرَّرْتَ فِي مُسَبِّطٍ فَاجْمَعِ الخَيْلَ مِثْلَ جَمْعِ الكِعَابِ (٣)

فبين الحارث وطىء سير تسمع ليال لمن قصد الزيارة، فعجل فيها: ثلاث من السّرة  
حيث ديار غسان إلى الحَلْبَطِ، وثلاث من الحَلْبَطِ إلى ثيماء، وثلاث من ثيماء إلى ديار  
طىء حيث الطريق بينهما واضح.

ليت شعري متى أرى قُبَّةً ذَاتَ قِلاَعٍ للحارثِ الحَرَّابِ  
يَفَاعٍ، وَذَاكَ مِنْهَا مَحَلٌّ فَوْقَ مَلِكٍ يَدِينُ بالأحْسَابِ

أخلى بهذين البيتين أن يكونا في رحلة الذهاب إلى الحارث وليس في رحلة الإياب !  
والحارث في قُبَّةٍ ذَاتِ قِلاَعٍ عَلَى يَفَاعٍ مِنَ الأَرْضِ، وَهُوَ حَرَّابٌ، (٤) وهذا لقب  
للحارث الأصغر مثلما كان لقب الوهاب (٥) للحارث بن أبي شير .

\*\*\*

(١) أخذت رواية هذا البيت من الديوان (طبعة صادر) ، ص ٢٧ وفي (الحَلْبَطِ) اختلاف في الرواية أثبت على  
حاشية الديوان . ونجد بعض التشابه بين أسماء الأماكن في ديوان حاتم وديوان امرئ القيس . وورد في ديوان  
امرئ القيس (الحَلْبَطِ) انظر الديوان (تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص  
٣٩٦ ، ٧٨ .

(٢) الرهو : السير السهل . ويُعْرُونَ : يَطْمَنُونَ .

(٣) المُسَبِّطُ : الطريق الممتد المستقيم . والكِعَابُ : جمع الكعب ، وهو العظم الذي يلعب به الأولاد ، ويسمى إلى  
اليوم بهذا الاسم .

(٤) انظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة (تحقيق إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ م) ، ص ٢٧٥ ، ٥٥ .

(٥) انظر ديوان علقمة الفحل (تحقيق لطفي الصقّال ودرة الخطيب ، دار الكتاب العربي حلب ، ١٩٧٠) .  
ص ٣٩ .

ومما يلفت في هذه القصائد إباء حاتم وشعوره بالعزة: فهو لم يعتذر اعتذار النابغة حين أوهن ذبيان وأوهاها، وتحدث عنها كأنه ليس منها، أو كأنه غسائياً أكثر منه ذبياناً. فحاتم لا يرهب الخزاة وحوله قومه الثعلبيون كأنهم الليوث<sup>(١)</sup>، وقومه نشاوي «لَهُمْ مِنْ كُلِّ سَائِمَةٍ جَزْرٌ»<sup>(٢)</sup> وَوَهُمْ بَنُ عَمْرٍو - وهو أحد الأسرى الأشراف - جلد جرىء بعيد الغارة. وهو - أي حاتم - إذا جاء إلى الحارث لإطلاق سراح الأسرى، فإنه يجيء «كريمًا لا ضعيفاً ولا خصيراً»<sup>(٣)</sup>.

ويستوقف أيضاً ذلك التصافي الذي تمّ بين الحارث وحاتم، واستعداد حاتم لتلبية دعوة الحارث، هو وأصحابه، إذا دعاهم.

وكأنني بحاتم قد دعا الحارث إلى زيارة ديار طيء، فوصف له الطريق.

\*\*\*

وقد وددت أن أرى في هذه المناسبة شعراً لزيد الخيل الطائي، فارس طيء وشاعرها ولكن يبدو أن الشعراء الفرسان يصنّرون عن منهل واحد، فتراهم يُجبلون عند الهزيمة وينقدح زئذهم عند النصر.

---

(١) الديوان (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٩٦.

(٢) نفسه، ص ١٨٩.

(٣) نفسه، ص ١٩٠. والقافية مقيدة.

(٦)

بين غسان وضبة  
أ - إشارة في شعر الفرزدق

للفرزدق خثولة في بني ضبة جعلته يفخر ببعض أيامهم في الجاهلية، في نقائضه مع جرير .

وفي بعض ما قاله صلة بأيام ضبة مع غسان، قال: (١)

إن الذي سمك السماء بني لنا      يتأ دعائمهُ أعزُّ وأطولُ

.....

وَأَتَمُّ فِي حَسَبِ الْكِرَامِ وَأَفْضَلُ	وَأَتَمُّ فِي حَسَبِ الْكِرَامِ وَأَفْضَلُ	وَأَتَمُّ فِي حَسَبِ الْكِرَامِ وَأَفْضَلُ
وَالخَيْلُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْهَا الْقَسْطَلُ	وَالخَيْلُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْهَا الْقَسْطَلُ	وَالخَيْلُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْهَا الْقَسْطَلُ
بَصِفَادٍ مُقْتَسِرٍ أَخُوهُ مَكْبَلُ	بَصِفَادٍ مُقْتَسِرٍ أَخُوهُ مَكْبَلُ	بَصِفَادٍ مُقْتَسِرٍ أَخُوهُ مَكْبَلُ
وَكِلَاهُمَا تَاجٌ عَلَيْهِ مَكْلَلُ	وَكِلَاهُمَا تَاجٌ عَلَيْهِ مَكْلَلُ	وَكِلَاهُمَا تَاجٌ عَلَيْهِ مَكْلَلُ
خَالِي حُيَيْشٌ ذُو الْفَعَالِ الْأَفْضَلُ	خَالِي حُيَيْشٌ ذُو الْفَعَالِ الْأَفْضَلُ	خَالِي حُيَيْشٌ ذُو الْفَعَالِ الْأَفْضَلُ
وَإِلَيْهِ كَانَ جِبَاءُ جَفَنَةَ يُنْقَلُ	وَإِلَيْهِ كَانَ جِبَاءُ جَفَنَةَ يُنْقَلُ	وَإِلَيْهِ كَانَ جِبَاءُ جَفَنَةَ يُنْقَلُ

وقد شرح أبو عبيدة هذه الأبيات، فذكر يومين لضبة على غسان: بُزَاحَة، وإضَم، وأورد شعراً لبعض شعراء ضبة في هذين اليومين .

ب - يوم بُزَاحَة

قال أبو عبيدة: «وأما حديث مُحَرَّقٍ وأخيه زياد يوم بُزَاحَة، فانه أغار مُحَرَّقُ الغساني وأخوه في إياد وطوائف من العرب من تُغَلِبَ وغيرهم، على بني ضبة بن أد بُزَاحَة،

١) شرح ديوان الفرزدق (جمع وشرح عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة؟) ٢: ٧١٤-٧١٩.

فاستاقوا النعم. فأتى الصريخ بني ضبّة، فركبوا فأدركوه، واقتتلوا قتالاً شديداً. ثم إن زيد الفوارس حمل على مُحرق، فاعتنقه وأسره، وأسروا أخاه أسره حُبَيْش بن ذُلف السَيْدِي، فقتلها بنو ضبّة (وكان يقال لأخي مُحرق فارس مرذود)، وهُزِمَ القوم، وأصيب منهم ناس كثير». (١)

وتذهب بي الظنون مذهبا في نسبة اليوم إلى مُحرق الغساني؛ فلقب مُحرق قد لحق باثنين - أو أكثر من العرب - أشهرهما مُحرق من المناذرة، وهو عمرو بن هند لفعلة الشنعاء بتميم حين حرق مائة منهم أحياء، وهو حَبْر شائع شرود. وثانيهما مُحرق من غسان وهو الحارث بن عمرو بن عامر من متقدمي امراء غسان، لحرقة الحيرة.

وليس هذا مبعث الظن، وإنما مبعثه اشتراك تغلب وإياد مُحرق الغساني في الغارة على ضبّة. وهذا بعيد، فعلاقة إياد وتغلب بالمناذرة أُدخِل من علاقتهما بغسان، لقرب الديار، وأخبارهما مع المناذرة كثيرة.

ولعل المناسبة الوحيدة التي التقت فيها غسان بتغلب، تلك المناسبة التي أورثت بينهما عدااء، والتي جاء خبرها عند ابن الاثير، وهو خبر رواه أبو عبيدة، رواية يوم بُزّاحة نفسه.

قال ابن الاثير: قال أبو عبيدة: إن بكرًا وتغلب ابني وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء، وذلك بعد حربهم، وكان الذي اصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مرة بن همام فغزا بهم المنذر بني آكل المرار، وجعل على بني بكر وتغلب ابنه عمرو بن هند، وقال: اغز أحوالك فغزاهم، فاقتتلوا فانهمز بنو آكل المرار، وأسروا، وجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم، ثم انتقضت تغلب ولحقت بالشام....

وعادت الحرب بينهم وبين بكر، فخرج ملك غسان بالشام وهو الحارث بن أبي شمر الغساني، فمرّ بأفاريق من تغلب فلم يستقبلوه، وركب عمرو بن كلثوم التغلبي، فلقبه فقال له: ما منع قومك أن يتلقوني؟ فقال: لم يعلموا بمرورك، فقال: لئن رجعت

(١) النقاتض، ١: ١٩٥. وانظر الخبر في: الممتع في علم الشعر وعمله، عبد الكريم النهشلي القيرواني (تحقيق منجى الكهي، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٧٨) ص ١٥١.

لاغزوتهم غزوة تركهم أيقاظا لقدمي ! فقال عمرو : ما استيقظ قوم إلا نُبِّل رأيهم وعزّت جماعتهم ، فلا توقظن نائمهم . فقال كأنك تتوعدني بهم ، أما والله لتعلمن إذا نالت غطاريف غسان الخيل في دياركم أن ايقاظ قومك سينامون نومة لا حُلم فيها ، تجتث أصولهم ، وتنفى فلهم إلى اليبس الجدد والنازح التمد (١)

ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه ، وقال :

ألا فاعلمم أبيت اللعن أنا أبيت اللعن نأبى ما تريد  
تعلّم أن محملنا ثقيل وأن ديار كيتنا شديد (٢)  
وأنا ليس حي من معد يقاومنا إذا ليس الحديد

فلما عاد الحارث الأعرج غزا بني تغلب ، فاقتتلوا واشتد القتال بينهم ، ثم انهزم الحارث وبنو غسان ، وقتل أخو الحارث في عدد كثير ، فقال عمرو بن كلثوم :

هلا عطفت على أخيك إذا دعا بالثكل وتل أبيك يا ابن أبي شمر  
فدق الذي جشمت نفسك واعترف فيها أخاك وعامر بن أبي حجر (٣)

\*\*\*

فأن يكون هذا اليوم مع عمرو بن هند أرجح .

ولا يظهر من قصيدة إياس بن القائف أن محرّقا قُتل في ذلك اليوم ، وقد تحدّث فيها ابن القائف عن إقبال جيش مُحَرَّق ، فتلقاه فوارس ضبة ، ومنهم زيد الخيل بن حصين بن ضيرار الضبي وابنا مُنذر ، وسَمَوْا له بالطنن ، فرماه زيد الخيل بقرّة فرسه (كامل) ، وكأنه ليث ضار بكفيه المنية :

(١) الفلّ : المنهزمون (يقال للواحد والجمع) . والجدد : المكان المستوي . والنازح التمد : المكان ذو الآبار بعيدة

القاع قليلة الماء شأن آبار الصحراء .

(٢) الدبار : الهلاك . والكبة : الدفعة من الرجال في القتال .

(٣) الكامل في التاريخ ، ١ : ٣٢٥ .

قال: (١)

نِعَمَ الْفَوَارِسُ يَوْمَ جَيْشِ مُحَرَّقٍ \* لَحِقُوا وَهُمْ يَدْعُونِي لَضِرَارِ  
زَيْدِ الْفَوَارِسِ كَرًّا وَأَبْنَا مُنْدِرٍ \* وَالخَيْلُ أَوْجَفَهَا بَنُو جَبَّارِ (٢)  
حَتَّى سَمَوْا لِمُحَرَّقٍ بِرِمَاجِهِمْ \* بِالطُّغْنِ بَيْنَ كِتَابِ وَغُبَارِ  
يُرْمِي بَعْرَةَ كَامِلٍ وَيَسْخِرُهُ \* نَحَطَّرُ النَّفُوسِ وَأَيَّ حِينِ خِطَارِ  
وَكَأَنَّ زَيْدًا زَيْدَ آلِ ضِرَارِ \* لَيْثٌ بِكَفِيهِ الْمَيْئَةُ ضَارِ

وانجلت المعركة عن قتلى من جيش محرق ثمحط عليهم عافيات الطير، وعن رماح  
تكسرت قناها:

جَعَلُوا لِعَافِي الطَّيْرِ مِنْهُمْ وَقَعَةً \* صَرَغَى تَضَوَّرَ فِي قِنَا أُكْسَارِ  
وَلَا تَجِدُ ذِكْرًا فِي قَصِيدَةِ ابْنِ الْقَائِفِ لِفَارِسِ مَرْدُودٍ الَّذِي ذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ (٣) وَابْنُ  
الْأَنْبَارِيِّ (٤) أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ غَسَّانَ، وَاسْتَشْهَدَا بِقَوْلِ رَبِيعَةَ بِنِّ مَقْرُومِ الضَّبِّيِّ (٥)  
وَفَارِسَ مَرْدُودٍ أَشَاطَتْ رِمَاحُنَا \* وَأُجْزَزْنَ مَسْعُودًا ضِبَاعًا وَأَذُوبًا (٦)

### ج - يوم إضم

يبدو أن في شمال الجزيرة أكثر من مكان كان يسمّى إضمًا (٧) وأقرب تحديد لما  
نحن فيه ما ورد في قول سلامة بن جندل التميمي - وبين تميم وضبة اختلاط - حيث  
حدّد إضمًا « بين الذكادك من قو فمغصوب » (٨)، وقو في الجنب، الجهراء اليوم،  
كما ذكرنا من قبل.

- (١) النفاض، ١: ١٩٥.
- (٢) أوجف الخيل: حثها على الجري.
- (٣) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها (تحقيق أحمد زكي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م)، ص ٩٩.
- (٤) شرح المفضليات، ص ٧٤٠. (٥) انظر القصيدة في شرح المفضليات، ص ٧٣٢-٧٤٠.
- (٦) أشاط: أهلك. وأجزز: أطعم. (٧) أنظر معجم البلدان، مادة إضم.
- (٨) من مطلع قصيدته:

يا دار أسماء بالعلياء من إضم بين الذكادك من قو فمغصوب  
أنظر ديوانه (تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٦٨)، ص ٢٢٣.

ومن خبر ذلك اليوم أن عمرو بن الحارث بن أبي شَمِير «أقبل حتى أغار على بني ضَبَّة فأصاب بني عائذة بن مالك بن سعد بن ضَبَّة، وقد كانوا أوقدوا مع جرّوة وشَقْرَةَ ابني ربيعة بن ثعلبة بن سعد بن ضَبَّة ناراً للحرب، فقال الملك: ما هذه النار التي تُدخّن علينا؟ قالوا: هذه شَقْرَةَ وجرّوة قد أوقدوا ناراً للحرب! قال: احمّلوا عليهم. فحمّلوا عليهم فأبادوا يومئذ بني عائذة». (١)

ويذكر أن ضَبَّة أسرت عمرو بن الحارث بن أبي شَمِير، أسره حُبَيْش بن ذُلف الضبّي، فجزّ ناصيته، ومنّ عليه، واشترط عليه جُعلاً يؤديه في كل سنة إليه. (٢)

ويقال: «جاء رجل من بني قيس بن عائذة يُدعى عامر بن ضامر فقال: والله لأطعننّ اليوم طعنةً كَمَنْخِرِ الثَّورِ الثَّعْبِ (٣)، فطعن ابن مُزَيْقِيَاءَ وقتله وانهزم أصحابه هزيمة قبيحة، فقال ربيعة بن مَقْرُوم:

وَأَلْ مُزَيْقِيَاءَ وَقَدْ تَدَاعَتْ حَلَاثِيهِمْ لَنَا حَتَّى قَرِينَا  
صَبْرْنَا بِالسَّيْفِ لَهُمْ وَكَانَتْ مَعَاقِلُنَا يَهْنُ إِذَا عَصِينَا

وقالت نائحته:

لَعْمَرِي لَقَدْ غَادَرْتُمْ يَوْمَ رُحْتُمْ عَلَى إِضْمٍ مِنْكُمْ عَقِيرَةَ عَامِرٍ  
لَقَدْ نَخَطَطُ الْأَنْوَاءَ طَعْنَةَ عَامِرٍ أَلَا يَا قَتِيلًا مَا قَتِيلُ ابْنِ ضَامِرٍ» (٤)

\*\*\*

(١) النقااض، ١: ١٩٥-١٩٦.

(٢) الحلبي، أهر البقاء هبة الله، المناقب المزهدية في أخبار الملوك الأسدية (تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات، مكتبة الرسالة الجديدة، عمان، ١٩٨٤)، ١: ١٧٠ و ٢: ٥٢٦.

(٣) الثور الثعير: الثور الذي دخلت في مَنْخِرِهِ الثَمْرَةُ، وهي ذبابة زرقاء تسقط على الدواب فتؤذيها، وتدخّل في أنوفها فتهدجها.

(٤) النقااض، ١: ١٩٦.

وليس في الشعر ما يدل على اسم الأمير الفساني الذي أسرو حُبَيْش ولا اسم الفساني الذي قتله ضَبَّة أو قتله عامر بن ضامر .

ويُستبعد كثيرا أن يكون حُبَيْش أسر عمرو بن الحارث الأصغر ممدوح النابغة الذبياني، لأن مثل هذا الأسر ما كان ليمر من غير أن يكون له صدى في الشعر الجاهلي .

وربيعة بن مَقْرُوم الذي استشهد به أبو عبيدة عن يومي بُزَاخَة وإضم شاعر مخضرم «عاش في الإسلام دهرًا وشهد القادسية»<sup>(١)</sup>، وله في القادسية شعر<sup>(٢)</sup> . ويغلب عليّ الظن أن الأبيات التي استشهد بها أبو عبيدة عن يوم إضم «وَأَلْ مُزَيْقِيَاءُ وَقَدْ تَدَاعَتْ» إسلامية، وأنه قالها في فتح الشام . بل لماذا أجعلها في فتح الشام، فالمناذرة أيضا من آل مُزَيْقِيَاءِ عمرو بن عامر الأزدي؟<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

ولعلّ أظهر ما يلفت من دراسة أيام غسان مع الأحاليف في الشعر الجاهلي أن صورة التحالف الحقيقي بين أسد وذيان وطىء وضَبَّة لم يظهر في الشعر، حيث ظلّ شعراء هذه القبائل يتحدثون عن قبيلتهم، ولا يوردون التحالف . ولا أكاد أستثني إلا ما ورد عن النابغة الذبياني، حيث رأينا فيه حلف ذيان وأسد .

\*\*\*

---

(١) ديوان المفضليات (شرح ابن الأباري)، ١ : ٧٣١ .  
(٢) انظر : ابن قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء (تحقيق دي جويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٢)، ص ١٨٠ .  
(٣) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١ : ١٤٠-١٤٦ .

## المصادر والمراجع

- ابن الأثير علي بن أبي الكرم:  
الكامل في التاريخ، الطباعة النيرية، القاهرة، ١٣٤٨ هـ.
- الأصبهاني، حمزة بن الحسن:  
تاريخ سني ملوك الارض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟
- الإصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي:  
المسالك والممالك، تحقيق محمد عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والارشاد  
القومي القاهرة، ١٩٦٩ م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:  
الأغاني، تحقيق عبد السلام أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩ م.
- الأعلام الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى:  
أشعار الشعراء الستة الجاهليين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١ م
- امرؤ القيس:  
ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة،  
١٩٦٩ م.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:  
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة  
التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١ م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل:  
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨ م.
- ثعلب، أحمد بن يحيى:  
مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة،  
١٩٦٠ م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر :  
البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام،  
القاهرة، ١٩٧٢ م.
- جواد علي :  
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم بيروت ومكتبة النهضة ببغداد،  
١٩٧٦ م.
- حاتم الطائي :  
ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤ م.  
ديوان شعر حاتم الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، ؟  
ديوان حاتم الطائي، تحقيق علي العتوم، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة،  
١٩٧٤ م (مخطوط).
- ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية :  
المحبر، تحقيق ايلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢ م.
- حسان بن ثابت :  
ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟.  
ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤ م.
- الحلبي، أبو البقاء هبة الله :  
المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسيدي، تحقيق صالح درادكه ومحمد  
خريسات، مكتبة الرسالة الجديدة، عمان، ١٩٨٤ م.
- حمد الجاسر :  
شمال غرب الجزيرة، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠ م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي :  
صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد :  
تاريخ ابن خلدون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١ م.

- الزبير بن بكار :  
الموفقيات ، تحقيق سامي مكى العاني ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٢ م .
- زهير بب أبي سلمى :  
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، دار  
الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤ م .
- زيد الخيل الطائي :  
ديوان زيد الخيل الطائي ، صنعة نوري حمودي القبسي ، مطبعة النعمان .
- ابن سعيد الأندلسي ، علي بن موسى :  
نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق نصرت عبد الرحمن ، مكتبة  
الأقصى ، عمان ، ١٩٨٢ م .
- سلامة بن جندل :  
ديوان سلامة بن جندل ، تحقيق فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية ، حلب ،  
١٩٦٨ م .
- الشلبي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله :  
آكام المرجان في أحكام الجان ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ .
- ابن الشجري ، هبة الله بن عبد الله :  
مختارات شعراء العرب ، تحقيق علي محمد بجاوي ، مكتبة دار نهضة مصر ،  
القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- ابن شداد ، عز الدين أبو محمد محمد بن علي بن ابراهيم الجلبلي :  
الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق سامي الدهان ، المعهد  
الفرنسي ، دمشق ، ١٩٦٢ م .
- الشمشاطي ، علي بن محمد بن المطهر العدوي :  
الأنوار ومحاسن الأشعار ، تحقيق السيد محمد يوسف ، دار الجيل ، بيروت ،  
١٩٧٧ م .

- ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه :  
العقد الفريد، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٥ م.
- عبيد بن الأبرص :  
ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى :  
نقائض جرير والفرزدق، تحقيق بيفار، بريل، لندن، ١٩٠٧ م.
- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله :  
المصون في الأدب، دار الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢ م.
- عمرو بن شأس الأسدي :  
شعر عمرو بن شأس الأسدي، صنعة يحيى الجبوري، مطبعة الآداب، النجف،  
١٩٧٦ م.
- أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل :  
المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ؟
- الفرزدق :  
شرح ديوان الفرزدق، جمع وشرح عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب :  
القاموس المحيط، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم :  
ذيل الأمالي والنوادر، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣ هـ.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم :  
الشعر والشعراء، تحقيق دي جوية، مطبعة بريل، لندن، ١٩٠٢ م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد :  
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية،  
القاهرة، ١٩٥٩ م.

ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب :

أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام ، تحقيق أحمد زكي ، الدار القومية ، القاهرة ،  
١٩٦٥ م .

جمهرة النسب ، تحقيق محمد فردوس العظم ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، ؟ .  
ليبد بن ربيعة :

شرح ديوان ليبد بن ربيعة ، تحقيق احسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ م .

المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي :

أمالي المرتضى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الكاتب اللبناني ، بيروت ،  
١٩٦٧ م .

المسعودي ، علي بن الحسين :

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة  
السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

المفضل الضبي :

المفضليات ، شرح ابن الانباري ، تحقيق كارلوس لاييل ، مطبعة الآباء اليسوعيين ،  
بيروت ، ١٩٢٠ م .

المفضليات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٧٦ م .

ابن منظور ، جمال الدين محمد مكرم :

لسان العرب ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٦ م .

النابغة الذبياني :

ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ،  
١٩٦٠ م .

ديوان النابغة الذبياني ، جمع محمد بن عاشور ، الشركة التونسية ، تونس ١٩٧٨ م .

ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة ،  
١٩٧٧ م .

- نبيه عاقل :  
تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٥ م.
- النهشلي ، عبد الكريم النهشلي القيرواني :  
الممتع في علم الشعر وعمله ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ٩٧٨ م :  
شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي :  
معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٧ م.
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب :  
تاريخ اليعقوبي ، دار العراق ، بيروت ، ١٩٥٥ م

- Doughty, Charles M., Travels in Arabia Deserta, Jonathan Cape, London 1927.
- Hitti Philip, History of Syria, Macmillan & Co L T D, London, 1935.
- Huart, Cl., Histoire des Arabes, Libraire Paul Geuthner Paris, 1912.
- نولدكه ، ثيودور ، أمراء غسان ، ترجمة بندلي خوري وقسطنطين زريق ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ م.
- O Leary, Arabia Before Mohammad, Kegan Paul, London, 1927.